جامعة الأزهر
كلية أصول الدين بالقاهرة
قسم التفسير وعلوم القرآن

الفصل والوصل في القرآن الكريم

دراسة في الإعجاز البلاغي

إعداد

د/ عبد التواب حسن محمد إبراهيم
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدي الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه وسار على نهجه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو معجزة النبي محمد ﷺ التي أيده الله بها، وقد جاء القرآن في قوم عرفوا بالبلاغة والفصاحة وكان سائرا على السنة الإلهية وهي أن تكون المعجزة من جنس ما نبغ فيه القوم حتى يكون ذلك أقوي في الحجة وأقطع للشبهة وأبعد عن الاعتذار عن عدم الإيمان، ولما كان العرب قد بلغوا في الفصاحة والبلاغة مبلغا عظيما جاء القرآن الكريم يتحداهم ويثبت عجزهم عن الإتيان بمثله متدرجا معهم من الأعلى إلى الأدنى فتحداهم في بداية الأمر أن يأتوا بمثله قال تعالى﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(١)

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٢)، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مماثلة قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣) فعجزوا، ثم تحداهم بعد ذلك

(١) سورة الطور الآيتان(٣٣، ٣٤).

(٢) سورة هود الآيتان (١٣، ١٤).

(٣) سورة يونس الآية (٣٨).

أن يأتوا بسورة فيها أدني درجة من المماثلة قال تعالى﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١) وهو مع هذا التحدي يُثبِتُ عجزَهم ولا زال هذا التحدي قائما إلى يوم القيامة لمن تسول له نفسه أن يعارض القرآن أو يدعي معارضته، قال تعالى﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٢).

وقال﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٣)،

والعلماء حينما تحدثوا عن وجوه إعجاز القرآن الكريم ذكروا وجوها عدة إلا أن الإعجاز البياني يعتبر هو أعظم وجوه الإعجاز.

ومن المباحث البلاغية التي تتعلق بفصاحة وبلاغة القرآن الكريم مبحث الفصل والوصل، فمما يجذب انتباه القارئ للقرآن أنه يرى في بعض الآيات عطف بعض المفردات على بعض بالواو، وفي الوقت نفسه يرى بعض المفردات لم تعطف على مفردات مثلها، وكذلك ورود بعض الجمل معطوفة وبعضها غير معطوفة مما يجعل القارئ المتدبر لآيات القرآن يتساءل لماذا عطف هذه على تلك، ولم يعطف الأخرى، مما دفع الباحث إلى محاولة الوقوف أمام هذه التعبيرات القرآنية ليبين البلاغة القرآنية التي تميز بها في العطف وعدمه، وليتبين للقارئ أن كل حرف في القرآن قد وضع في موضعه المناسب، وأنه ليس تركيبا اعتباطيا بغير ضوابط أو قيود.

وقد أردت من خلال هذا البحث البلاغي أن أبين أن القرآن قد سبق ببلاغته بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء في وضع كل حرف في موضعه المناسب، وفي وضع كل كلمة في مكانها، فلا ينبو حرف مكانه، ولا كلمة موضعها، وصدق من قال: ﴿وَلَوْ كَانَ

(١) سورة البقرة الآية (٢٣).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٤).
(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨).

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾(١)، ومن قال﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(٢)

وقد سميته: **(الفصل والوصل في القرآن الكريم) دراسة في الإعجاز البلاغي**

وقد قسمت الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على اسم الموضوع وأهميته وطريقة البحث فيه.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على تعريف الفصل والوصل وأهميته في فهم القرآن الكريم.

وأما المبحث الأول: فتناولت فيه مواضع الفصل.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: المعاني التي تستعمل فيها الواو.

المطلب الثاني: عدم القول بالزيادة في حروف القرآن.

المطلب الثالث: عدم القول بالتناوب بين حروف العطف في القرآن.

المطلب الرابع: قضية الحذف في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفصل بين المفردات.

المطلب السادس: مواضع الفصل بين الجمل.

وأما المبحث الثاني: فتناولت فيه مواضع الوصل.

والمبحث الثالث:بعض الشبهات التي أثيرت حول القرآن بسبب الفصل والوصل والرد عليها.

وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج وعلى الفهارس والمراجع.

وقد بذلت قدر طاقتي في استخراج الموضوع من زاوية تفسيرية ــ وإن كانت قريبة الصلة بالدراسات البلاغية ــ إلا أن القصد من الدراسة هنا ليس التأصيل للفصل

(١) سورة النساء من الآية (٨٢)
(٢) سورة هود من الآية (١).

والوصل كما هو منهج البلاغيين بقدر ما هو القصد إلى إظهار وجه إعجاز القرآن البياني الذي أعجز بسببه القرآنُ البلغاءَ والفصحاءَ.

فإن أكن وفقت فمن الله وحده وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت، والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د/ عبد التواب حسن محمد إبراهيم
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

التمهيد
تعريف الفصل والوصل وأهميته في فهم القرآن الكريم

الفصل والوصل لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب:

"الفَصْل بَوْنُ ما بين الشيئين، والفَصْل من الجسد موضع المَفْصِل وبين كل فَصْلَيْن وَصْل وأنشد وَصْلاً وفَصْلاً وتَجْميعاً ومُفْتَرقاً فَتْقاً ورَتْقاً وتأْليفاً لإنسان، ابن سيده: الفَصْل الحاجز بين الشيئين فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصل، وفَصَلْت الشيء فانفصل أي: قطعته فانقطع، والمَفْصِل: واحد مَفاصِل الأَعضاء، والانْفصال مطاوِع فصَل، والمَفْصِل كل ملتقى عظمين من الجسد..، والفَصْل القضاء بين الحق والباطل واسم ذلك القَضاء الذي يَفْصِل بينهما فَيْصَل، وهو قضاء فَيْصَل وفاصِل".[١]

فالفصل يدل على معنى الانفصال والانقطاع في المدلول اللغوي.

والوصل:خلاف الفصل، وهو شدة الترابط يقال:وصَلَ الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة.

قال الزمخشري[٢] في أساس البلاغة: وصَل الشيء بغيره فاتصل، ووصَل الحبال وغيرها توصيلاً: وصل بعضها ببعض ومنه:﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ...﴾[٣]، وخيط

---

(١) لسان العرب لابن منظور(٢٧٣/١٠) فصل، ط دار إحياء التراث العربي ط ثالثة بدون تاريخ.

(٢) الزمخشري:هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الإمام الحنفي المعتزلي، الملقب بجار الله، ولد في رجب سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر(قرية من قري خوارزم)، وقدم بغداد، ولقي الكبار وأخذ عنهم، ودخل خراسان مرات عديدة، وهو الإمام الكبير في التفسير والحديث، والنحو، واللغة، والأدب، وصاحب التصانيف البديعة في شتى العلوم المختلفة، ومن أجل مصنفاته: الكشاف في تفسير القرآن العزيز، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، والمفصل في النحو وغير ذلك، توفي سنة ٥٣٨ هـ بجرجانية خوارزم. وفيات الأعيان لابن خلكان(١٦٨/٥) ط دار صادر – بيروت، بدون تاريخ، تحقيق د/ إحسان عباس، التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي(٤٢٩/١) ط دار الكتب الحديثة ١٣٨١هـ – ١٩٦١ م.

(٣) سورة القصص من الآية (٥١).

موصل: فيه وصل كثير، ووصلني بعد الهجر وواصلني، وصرمني بعد الوصل والصلة والوصال، وتصارموا بعد التواصل، وهذا موصل الحبلين والعظمين، ووصلت شعرها بشعر غيرها.[١]

الفصل والوصل اصطلاحا:

مدلول الفصل والوصل وجد في كثير من العلوم قبل علم البلاغة منها علم الخط العربي، والنحو، وعلم العروض، وعلم القراءات، وقد تختلف المسميات ولكنها في النهاية تعني بالفصل:القطع سواء في رسم اللفظ أو في المعنى، وتعني بالوصل:الربط سواء بين حروف اللفظ أو بين الألفاظ أو بين معنى ومعنى آخر.

ففي علم الخط العربي نري الفصل والوصل متمثلا في رسم الكلمة حين تكتب موصولة الحروف أو مفصولا بعضها عن بعض، وفي علامات الترقيم: الفاصلة لفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض.

يقول الزركشي في البرهان:

في الفصل والوصل "اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط كما تفصل كلمة عن كلمة فمنه (إنما) بالكسر كله موصول إلا واحدا﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾[٢] لأن حرف ما هنا وقع على مفصل فمنه خير موعود به لأهل الخير، ومنه شر موعود به لأهل الشر فمعنى ما مفصول في الوجود والعلم.[٣]

وفي النحو: الفَصل عند البصريين بمنزلة العِماد عند الكوفيين كقوله عز وجل﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾[٤] فقوله(هو) فَصل وعِماد ونُصِب الحق لأنه خبر كان

(١) أساس البلاغة للزمخشري (٨٢٤) ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط أولى ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م.

(٢) سورة الأنعام من الآية (١٣٤).

(٣)البرهان في علوم القرآن للزركشي(٤٩٧/١) ط دار الفكر بيروت، لبنان١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م.

(٤) سورة الأنفال من الآية (٣٢).

ودخلت (هو) للفَصل وأواخر الآيات في كتاب الله فَواصِل بمنزلة قَوافي الشعر جلَّ كتاب الله عز وجل واحدتها فاصِلة.[١]

قال الزمخشرى: ضمير الفصل: ويتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعاً له في امتناع دخول حرف التعريف عليه كأفعل من كذا أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة، ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت، وليفيد ضرباً من التوكيد. وتسميه البصريون فصلاً، والكوفيون عماداً. وذلك في قولك: زيد هو المنطلق، وزيد هو أفضل من عمرو، وقال تعالى:﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ.. ﴾[٢]، وقال تعالى﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ..﴾[٣]، وقال:﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُم..﴾[٤]، وقال تعالى﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٥].

ويدخل عليه لام الابتداء، تقول:إن كان زيد لهو ظريف، وإن كنا لنحن الصالحون، وكثير من العرب يجعلونه مبتدأ وما بعده مبنياً عليه[٦].

وفي العروض: الفاصِلة الصغرى من أجزاء البيت هي السببان المقرونان وهو ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو مُتَفا من " مُتَفاعِلُن" وعلتن من "مفاعلتن" فإذا كانت أربع حركات بعدها ساكن مثل فَعَلتن فهي الفاصِلة الكُبْرى قال وإنما بدأنا بالصغرى لأنها أبسط من الكُبْرى، الخليل الفاصِلة في العَروض أن يجتمع ثلاثة أحرف متحركة والرابع ساكن مثل فَعَلَت قال: فإن اجتمعت أربعة أحرف متحركة فهي الفاضِلة بالضاد

(١) لسان العرب(٢٧٥/١٠) مادة فصل.

(٢) سورة الأنفال من الآية (٣٢).

(٣) سورة المائدة من الآية (١١٧).

(٤) سورة آل عمران من الآية (١٨٠).

(٥) سورة الكهف من الآية (٣٩).

(٦) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري(٢٢/١)، وينظر شرح المفصل لابن يعيش(١٠٩/٣) فما بعدها ط إدارة الطباعة المنيرية ، بدون تاريخ.

المعجمة مثل فعلتن[١].

وأما الفصل والوصل عند البلاغيين: فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها.[٢]

وعرفه الخطيب القزويني بقوله الوصل:عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه.[٣]

وعرفه بعض الباحثين بأن الفصل هو قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي.

والوصل:هو ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي.[٤]

وتلحظ في هذا التعريف الأخير أنه لم يقصره على العطف بالواو وتركه كما هو المعروف في الوصل بها، والفصل بترك العطف بها كما هو المشهور عند البلاغيين لأنه يرى أن الفصل والوصل ليس قاصرا عليها بل يوسع هذا المفهوم بأن الفصل قد يكون بواو الاستئناف، والفاء، وثم ، وبل، وأم المنقطعة، وضمائر الفصل، والجمل المعترضة، والاستثناء المنقطع.

ولا يكاد مفهوم الفصل والوصل في الاصطلاح ينفك عن مدلوله اللغوي في هذه المجالات، وأما البحث البلاغي فقد دار المصطلح فيه حول مفهومين:

أولهما: يستشعر ذلك المدلول اللغوي وظهرت بوادره كما تحدثنا بذلك كتب الأدب في صورة ملاحظات عامة، ونصائح تقوم على مراعاة التناسب بين المعاني، والاهتمام بمقاطع الكلام عند الخطابة والإنشاد، فيقع الفصل بين المعاني المختلفة، أو عند تمام الكلام، ويكون الوصل بين المعاني المتآخية ، أو عند احتياج الكلام إلى ما قبله.[٥]

---

(١) لسان العرب(١٠/٢٧٤).

(٢) علوم البلاغة للشيخ أحمد مصطفى المراغي(١٩٣) ط مطبعة محمد محمد مطر بالعتبة ١٣٣٥هـ ـ١٩١٧م.

(٣) التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني(١٧٥) ط دار الفكر العربي ط أولى ١٤٠٩هـ.

(٤) الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب للدكتور منير سلطان(٣١) نشر منشأة المعارف بالإسكندرية ط ثانية ١٩٩٧م.

(٥) الصناعتين لأبي هلال العسكري(٤٩٧) فما بعدها.

ولعل أوضح تطبيق نقل إلينا لذلك المبدأ هو ما يتمثل في أداء النص القرآني وتلاوته وذلك فيما يعرف بفن الوقف والابتداء في علم التجويد.

وهي ضوابط تشبه إلى حد بعيد حديث البلاغيين عن علاقة التناسب أو الجامع الذي يسوغ الفصل أو الوصل بين المفردات والجمل وربما كانت مهادا له كما رأي بعض الكاتبين القول بأن مصطلح الفصل والوصل في البلاغة مصدره علم القراءات بدليل سبقه إليه وتشابه المدلول والغرض.[١]

وقد أوقع الخلف بين المنزعين ــ أعني المنزع اللغوي والمنزع البلاغي ــ انفصام المصطلح ولا سيما الفصل عن مدلوله اللغوي وذلك في المفهوم الآخر الذي استخلصه عبد القاهر من منهج النحو ومعانيه وخصه بالعطف وتركه ، فاتخذ مصطلح الوصل للدلالة على عطف المفردات والجمل حال تغايرها واحتياجها إلى رابط بينها ، ويبدو أن ذلك قد حتم عليه أن يجعل في مقابله مصطلح الفصل عَلَماً على ترك العطف بين المفردات والجمل حال التباسها والتباس بعضها ببعض وعدم احتياجها إلى رابط لفظي،

---

(١) وهو الدكتور منير سلطان في بحثه الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب.حيث ذكر أن أصل مصطلح الفصل والوصل هو علم القراءات، ودليل ذلك هو سبق وجوده في علم القراءات، وتعريف علم القراءات به ، وتشابه المدلول والغرض ، فالقراءة أيا كان نوعها تحويل للألفاظ المكتوبة إلى أصوات منطوقة تؤدي نفس الدلالات ، وفي أداء نفس المدلولات تكمن المشكلة ،القارئ الذي لا يفهم معنى ما يقرأ ولا يتذوقه سيقرؤه بطريقة تؤدي إلى إفساد معناها مهما كان عميقا رائعا، والخطيب إذا لم يكن متمكنا من لغته ومن معانيه التي يريد أن يوصلها إلى المستمع سيكون إلقاؤه مساعدا على تفتيت معانيه وتشتيت ذهن من يستمع له ، وإذا كان الأمر كذلك في القراءة والخطابة فهو في القرآن أشد أهمية وأعظم ضرورة. قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن(١/٣٤٢):

النوع الرابع والعشرون: معرفة الوقف والابتداء ، وهو فن جليل وبه يعرف كيف أداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات، وقد صنف فيه الزجاج قديما كتاب القطع والاستئناف، وابن الأنباري وابن عباد والداني والعماني وغيرهم، وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده كما يتعلمون القرآن، وروى عن ابن عباس﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ قال: فانقطع الكلام.

الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب د/ منير سلطان(١٦).

بل ازداد الأمر تخصيصا حين قصر ذلك المفهوم على العطف بالواو دون غيرها،أو ترك العطف بها بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ إذ الواو وحدها في هذا النسق هي التي يعرض فيها الإشكال لأنها لمطلق الجمع ولمجرد التشريك في الحكم الإعرابي.

وإذا كانت تسمية عبد القاهر العطف بين الجمل بالوصل وافقه موقعها من الصحة والقبول وذلك لتلاقي دلالتها اللغوية مع مفهومها الاصطلاحي فإن تسمية ترك العطف بالفصل في مقابل الوصل طالما تؤدي إلى الإلباس، وتوهم في بادئ النظر بالانقطاع والفصل المعنوي على الرغم من أن ترك العطف إنما كان لقوة الصلة المعنوية المحققة للربط بين الجمل فيكون كلا الأمرين عندئذ من قبيل الروابط غير أن الوصل ربط ظاهر، والفصل ربط معنوي[١].

وقد تنبه الزمخشرى إلى هذا المفهوم وهو أن الفصل وصل تقديري عند تفسيره لقوله تعالى﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٢]

فقال: فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إن عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء[٣]، وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه.[٤]

---

(١) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/ أحمد سعد محمد ص(٣٥٨) فما بعدها بتصرف ط مكتبة الآداب القاهرة ط أولى ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.

(٢) سورة هود الآية (٩٣).

(٣) يقصد قوله تعالى﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾سورة الأنعام الآية (١٣٥).

(٤) الكشاف للزمخشري(٢/٢٨٩، ٢٩٠) ط دار الفكر، بدون تاريخ.

ويفهم من هذا الكلام أن بعض الباحثين رأي أن مصطلح الفصل والوصل بهذا الاسم موهم وأنه يمكن لدفع هذا الإيهام أن نطلق عليه الرابط بين الجمل أو المفردات.

وسواء أقلنا الربط بين المفردات أو الجمل،أم قلنا الفصل والوصل فإن المراد هنا هو بيان العطف بين المفردات والجمل وترك هذا العطف، ومواطن كل منهما، ونظرة البلاغيين إلى هذا العطف وعدمه وما لذلك من إظهار بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، وهو المراد بالإعجاز البياني في القرآن الكريم وأن من وجوه إعجاز القرآن بلاغته وبديع نظمه، ومن بديع النظم مراعاة الفصل والوصل بين مفرداته وجمله.

أهمية علم الفصل والوصل في فهم القرآن:

تعتبر معرفة الفصل والوصل من أبرز القضايا المرتكزة على الذوق البياني لما لها من صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل ولم يكن حقه كذلك،أو بالفصل والموضع موضع وصل، لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف ترك تارة ووجد أخرى بل هو أمر يتعلق بالمعنى الذي لا يصلح إلا بالوصل حينا، وبالفصل حينا آخر.

" قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال:معرفة الفصل من الوصل، وقال المأمون لبعضهم: من أبلغ الناس؟ فقال: من قرّب الأمرَ البعيد المتناول، والصّعب الدرك بالألفاظ اليسيرة، قال: ما عدل سهمك عن الغرض. ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، ولا يكره المعاني على إنزالها في غير منازلها، ولا يتعمّد الغريب الوحشيّ، ولا الساقط السوقيّ، فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام.

وقال أبو العباس السفاح لكاتبه: قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإيّاك أن تخلط المرعيّ بالهمل، ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل.

وقال الأحنف بن قيس: ما رأيتُ رجلاً تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا عمرو ابن العاص ﷺ، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حقّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً

بل ازداد الأمر تخصيصا حين قصر ذلك المفهوم على العطف بالواو دون غيرها،أو ترك العطف بها بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ إذ الواو وحدها في هذا النسق هي التي يعرض فيها الإشكال لأنها لمطلق الجمع ولمجرد التشريك في الحكم الإعرابي.

وإذا كانت تسمية عبد القاهر العطف بين الجمل بالوصل وافقه موقعها من الصحة والقبول وذلك لتلاقي دلالتها اللغوية مع مفهومها الاصطلاحي فإن تسمية ترك العطف بالفصل في مقابل الوصل طالما تؤدي إلى الإلباس، وتوهم في بادئ النظر بالانقطاع والفصل المعنوي على الرغم من أن ترك العطف إنما كان لقوة الصلة المعنوية المحققة للربط بين الجمل فيكون كلا الأمرين عندئذ من قبيل الروابط غير أن الوصل ربط ظاهر، والفصل ربط معنوي[١].

وقد تنبه الزمخشرى إلى هذا المفهوم وهو أن الفصل وصل تقديري عند تفسيره لقوله تعالى﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٢]

فقال: فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إن عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء[٣]، وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه.[٤]

---

(١) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/ أحمد سعد محمد ص(٣٥٨) فما بعدها بتصرف ط مكتبة الآداب القاهرة ط أولى ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.

(٢) سورة هود الآية (٩٣).

(٣) يقصد قوله تعالى﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾سورة الأنعام الآية (١٣٥).

(٤) الكشاف للزمخشري(٢/٢٨٩، ٢٩٠) ط دار الفكر، بدون تاريخ.

ويفهم من هذا الكلام أن بعض الباحثين رأي أن مصطلح الفصل والوصل بهذا الاسم موهم وأنه يمكن لدفع هذا الإيهام أن نطلق عليه الرابط بين الجمل أو المفردات.

وسواء أقلنا الربط بين المفردات أو الجمل،أم قلنا الفصل والوصل فإن المراد هنا هو بيان العطف بين المفردات والجمل وترك هذا العطف، ومواطن كل منهما، ونظرة البلاغيين إلى هذا العطف وعدمه وما لذلك من إظهار بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، وهو المراد بالإعجاز البياني في القرآن الكريم وأن من وجوه إعجاز القرآن بلاغته وبديع نظمه، ومن بديع النظم مراعاة الفصل والوصل بين مفرداته وجمله.

أهمية علم الفصل والوصل في فهم القرآن:

تعتبر معرفة الفصل والوصل من أبرز القضايا المرتكزة على الذوق البياني لما لها من صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل ولم يكن حقه كذلك،أو بالفصل والموضع موضع وصل، لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف ترك تارة ووجد أخرى بل هو أمر يتعلق بالمعنى الذي لا يصلح إلا بالوصل حينا، وبالفصل حينا آخر.

" قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال:معرفة الفصل من الوصل، وقال المأمون لبعضهم: من أبلغ الناس؟ فقال: من قرّب الأمرَ البعيد المتناول، والصّعب الدرك بالألفاظ اليسيرة، قال: ما عدل سهمك عن الغرض. ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، ولا يكره المعاني على إنزالها في غير منازلها، ولا يتعمّد الغريب الوحشيّ، ولا الساقط السوقيّ، فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام.

وقال أبو العباس السفاح لكاتبه: قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإيّاك أن تخلط المرعيّ بالهمل، ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل.

وقال الأحنف بن قيس: ما رأيتُ رجلاً تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا عمرو ابن العاص ﷺ، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حقّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً

يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ، وكان كثيراً ما ينشد:

إذا ما بدا فوق المنابر قائلا... أصاب بما يومي إليه المقاتلا

ولا أعرف فصلا في كلام منثور أحسن مما أخبرنا به أبو أحمد، قال: حدثنا الصّولي، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثني العتبي عن أبيه، قال: كان شبيب ابن شبّة يوماً قاعداً بباب المهدي، فأقبل عبد الصمد بن الفضل الرّقاشيّ، فلما رآه قال: أتاكم والله كليمُ الناس. فلما جلس قال شبيب: تكلم يا أبا العباس، فقال: أمعك

يا أبا معمر وأنت خطيبنا وسيدنا؟ قال: نعم، فوالله ما رأيت قلباً أقرب من لسان، من قلبك من لسانك، قال: في أي شيء تحب أن أتكلم؟ قال: وإذا شيخ معه عصاً يتوكأ عليها، فقال: صف لنا هذه العصا، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم ذكر السماء، فقال: رفعها الله بغير عمد، وجعل فيها نجوم رجمٍ ونجوم اقتداء، وأدار فيها سراجاً وقمراً منيراً، لتعلموا عدد السنين والحساب، وأنزل منها ماء مباركاً، أحيا به الزرع والضّرع وأدرّ به الأقوات، وحفظ به الأرواح، وأنبت به أنواعا مختلفة، يصرّفها من حالٍ إلى حال، تكون حبّة، ثم يجعلها عرقا، ثم يقيمها على ساق، فبينا تراها خضراء ترف إذ صارت يابسة تتقصّف، لينتفع بها العباد، ويعمر بها البلاد، وجعل من يبسها هذه العصا. ثم أقبل على الشيخ، فقال: وكان هذا نطفة في صلب أبيه، ثم صار علقة حين خرج منه، ثم مضغة ثم لحما وعظما، فصار جنينا أوجده الله بعد عدم، وأنشأه مريدا، ووفقه مكتهلا، ونقصه شيخاً، حتى صار إلى هذه الحال من الكبر، فاحتاج في آخر حالاته إلى هذه العصا، فتبارك المدبّر للعباد... قال شبيب: فما سمعت كلاماً على بديهه أحسن منه[١].

فهذه العبارات تؤكد أهمية معرفة الفصل والوصل في بلاغة الكلام والمتكلم.

ومعرفة الفصل والوصل من أعظم أركان البلاغة حتى إن بعضهم عرف البلاغة

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري(١/١٣٢)

بأنها معرفة الفصل والوصل، قال عبد القاهر الجرجاني[١]:"اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل. ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة "[٢].

وقال أيضا: واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب. وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا، إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف: إن الكلام قد استؤنف، وقطع عما قبله، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك. ولقد غفلوا غفلة شديدة.[٣]

وقال السكاكي[٤]: ومدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره على هذه

(١)عبد القاهر الجرجاني: شيخ العربية، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن بن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي، وصنف شرحا حافلا للإيضاح، يكون ثلاثين مجلدا، وله إعجاز القرآن ضخم، ومختصر شرح الإيضاح، ثلاثة أسفار، وكتاب العوامل المائة، وكتاب المفتاح، وفسر الفاتحة في مجلد، وله العمد في التصريف، والجمل، ومن مصنفاته العظيمة المشهورة كتاب أسرار البلاغة في علم البيان، وكتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، وكلاهما مطبوع، وغير ذلك، وكان شافعيا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين. قال السلفي: كان ورعا قانعا، دخل عليه لص، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها ، وكان آية في النحو.

توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مئة وقيل: سنة أربع وسبعين – رحمه الله –. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٤٣٣) ط مؤسسة الرسالة ط أولى١٤٠١هـ –١٩٨١م ، تحقيق شعيب الأرناؤط.

(٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني(١٧٤) ط دار الكتاب العربي ط ثالثة ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

(٣) المرجع السابق(١٨٠).

(٤) السكاكي: هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن على السكاكي الخوارزمي (سراج الدين أبو يعقوب) عالم في النحو والتصريف، والمعاني، والبيان، والعروض، والشعر، وغير ذلك، ولد سنة ٥٥٥ هـ؛

الجهات وكذا طيّ الجمل عن البين ولا طيها وإنها لمحك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظار ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر ومنجم صوابه وخطئه ومعجم جلائه وصدائه وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى، وإن لك في إيداع وشيها اليد الطولي، وهذا فصل له فضل احتياج على تقرير واف، وتحرير شاف[1]

فالفصل والوصل وإن كان بهذه الأهمية في بلاغة المتكلم والكلام هو من الأهمية بمكان في فهم القرآن؛لأن القرآن في أعلى درجات البلاغة فقد جاء بلغة العرب وما اشتملت عليه من البلاغة والفصاحة إلا أنه فاق هذه البلاغة وهذه الفصاحة، وسنجد أن القرآن يستخدم العطف في مكانه المناسب، ويترك العطف حيث المقام يستدعي ترك هذا العطف، والعطف في مقامه هو البلاغة بعينها، وكذلك تركه هو عين البلاغة نلحظ ذلك في قول الزمخشرى عند تفسيره لآية الكرسي إذ يقول:" فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف؟ قلت: ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه، والبيان متحد بالمبين، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: بين العصا ولحائها، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية لكونه مالكاً لما يدبره، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة، وغير المرتضى، والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله وعظم قدره.[2]"

* * *

من آثاره: مفتاح العلوم، ومصحف الزهرة، وتوفي سنة ٦٢٦ هـ. كشف الظنون لحاجي خليفة (١٧٦٢) ط المتنبي ــ بيروت ، بدون تاريخ، معجم المؤلفين عمر رضا كحالة (٢٨٢/١٣). ط مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦هـ ــ١٩٥٧م.

(١) مفتاح العلوم للسكاكي (٤٥٩) ط مطبعة دار الرسالة بغداد ط أولى ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م.

(٢) الكشاف (٣٨٦/١).

المبحث الأول

مواضع الفصل

بعد أن عرفنا معنى الفصل والوصل، وأهمية هذا العلم في ربط الكلام بعضه ببعض، ودلالته على بلاغة المتكلم، حتى جعله بعضهم حداً للبلاغة كما سبق، وقبل أن أتكلم عن مواضع كل من الفصل والوصل ينبغي أن أقدم مقدمة بين يدي هذا الموضوع المهم لها علاقة به تتمثل في بعض الأمور التي تبين لنا دقة القرآن الكريم في استخدام كل حرف في موضعه، وكل كلمة في مكانها وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

المعاني التي تستعمل فيها الواو

الحروف القرآنية نوعان:

الأول: حروف المباني وهي الحروف التي تبني وتؤلف منها الكلمات.

والثاني: حروف المعاني وهي الحروف التي تدل على معنى من المعاني، ولها عمل في إعراب الكلمة ودور في إعراب الجملة، وقد يطلقون عليها اسما آخر الحروف العاملة، ويطلقون على حروف المباني الحروف غير العاملة ، وحروف المعاني مثل حروف الجر، والنصب، والشرط والاستفهام، والعطف، والحروف الناسخة للابتداء، وغيرها.

ومن حروف المعاني حروف العطف، وإجمال معاني حروف العطف فيما يلي:

١ــ الواو لمطلق الجمع فلا تقتضي بأصل الوضع ترتيباً ولا تعقيباً عند البصريين، فإذا قلت: جاء زيد وعمرو دل ذلك على اجتماعهما في نسبة المجيء إليهما ، واحتمل كون " عمرو " جاء بعد زيد ،أو جاء قبله ،أو جاء مصاحبا له ، وإنما يتبين ذلك بالقرينة نحو:جاء زيد وعمرو بعده ، وجاء زيد وعمرو قبله، وجاء زيد وعمرو معه، فيعطف بها اللاحق،والسابق،والمصاحب.

ومذهب الكوفيين أنها للترتيب،وردّ بقوله تعالى﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ

وَنَحْيَا..﴾[1]

٢ــ الفاء للترتيب مع التعقيب نحو:جاء زيد فعمرو فدلت على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متصلا به.

٣ــ ثُمّ للترتيب مع التراخي نحو:جاء زيد ثم عمرو فدلت على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متراخيا عنه.

٤ــ حتّى لانتهاء الغاية ويشترط في المعطوف بها أن يكون بعضاً مما قبله وغاية له في زيادة أو نقص نحو: مات الناس حتى الأنبياء ، وقدم الحجاج حتى المشاة.

٥ــ بل وتأتي على وجهين:

الوجه الأول: للإضراب والعدول عن شيءٍ إلى آخر بعد كلامٍ مثبت خبراً كان أو أمراً نحو:قام زيد بل عمرو في الخبر، واضرب زيدا بل عمرو في الأمر،فتفيد الإضراب عن الأول وتنقل الحكم إلى الثاني.

الوجه الثاني: للاستدراك بمنزلة "لكن" إذا وقعت بعد نفي أو نَهْي ، فتقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه إلى ما بعدها نحو:ما قام زيد بل عمرو في النفي، ولا تضرب زيداً بل عمراً في النهي فقررت النفي والنهي السابقين وأثبتت القيام لعمرو والأمر بضربه.

٦ــ " لكن" للاستدراك، ويعطف بها بعد النهي نحو: لا تضرب زيدا لكن عمراً ، وبعد النفي نحو: ما ضربت زيدا لكن عمراً.

٧ــ" لا " بعد المثبت، وهي تفيد تأكيد إثبات الحكم لما قبلها، ونَفْيَهُ عمّا بعدها نحو:جاء زيد لا عمرو ، ولا يعطف بلا بعد النفي نحو:ما جاء زيد لا عمرو ، كما لا

(١) سورة المؤمنون من الآية (٣٧) لو كانت الواو دالة على الترتيب كما يقول الكوفيون لكان هذا الكلام اعترافا من الكفار بالبعث بعد الموت لأن الحياة المرادة من " نحيا " تكون حينئذ بعد الموت وهي الحشر ومساق الآيات وما عرف من حالهم ومرادهم دليل على أنهم منكرون له فالمراد من الحياة في قولهم" ونحيا"هي الحياة التي يحيونها في الدنيا، وهي قبل الموت قطعا ، فدلت الآية على أن الواو لا تدل على الترتيب ؛ لأن المعطوف سابق في الوجود على المعطوف عليه.

يعطف بلكن في الإثبات نحو:جاء زيد لكن عمرو.

٨ ــ أو وتستعمل للتخيير نحو:خذ من مالي درهما أو دينارا،وللإباحة نحو:جالس الحسن أو ابن سيرين، والفرق بينهما أن الإباحة تمنع الجمع والتخيير يمنعه.

٩ــ " أم " وتأتي على وجهين:

الوجه الأول: "أمْ" المتصلة، وهي الّتي يكون ما بعدها متّصلاً بما قَبْلَها، ومشاركاً له في الحكم، وتقع بعد همزة الاستفهام مثل: "أعليٌّ في الدار أمْ خالد؟" أو بعد همزة التسوية، مثل:﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وسُمِّيتْ متّصلة لأنَّ ما قَبْلها وما بَعْدها لا يُستَغْنَى بأحدهما عن الآخر.

الوجه الثاني: " أمْ " المنقطعة، وهي التي تكون لقطع الكلام الأول واستئناف ما بَعْدَه، وهي ثلاثة أنواع:

أحدها ــ أن تكون مسبوقة بالخبر المحض نحو قوله تعالى﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ..﴾[2]

ثانيها ــ أن تكون مسبوقة بهمزة لغير استفهام نحو قوله تعالى﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا..﴾[3]

ثالثها ــ أن تكون مسبوقة باستفهام بغير الهمزة مثل قوله تعالى﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4]

ومعنى أم المنقطعة الإضراب فهي بمعنى "بل " وقد تكون بمعنى الإضراب مع الاستفهام فتكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام.[5]

(١) سورة البقرة من الآية (٦).
(٢) سورة السجدة من الآيتين (٢، ٣).
(٣) سورة الأعراف من الآية (١٩٥).
(٤) سورة الرعد الآية (١٦).
(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/٢٢٤، ٢٣٦) بتصرف ط مكتبة دار التراث الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ ــ١٩٨٠م.

فمن هذه الحروف (الواو) ومن المعاني التي تفيدها الواو العطف وهو التشريك بين المعطوفين من غير إفادة الترتيب أو التراخي، والواو أصل حروف العطف.

قال الزمخشرى: "الواو: للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلاً في الحكم قبل الآخر، ولا أن يجتمعا في وقت واحد، بل الأمران جائزان، وجائز عكسهما؛ نحو قولك: جاءني زيد اليوم وعمرو أمس، واختصم بكر وخالد، وسيان قعودك وقيامك، وقال الله تعالى:﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ..﴾،[١] وقال:﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا..﴾[٢] والقصة واحدة."[٣]

وقال العلّامة ابن هشام[٤] في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:

الواو المفردة انتهى مجموع ما ذكر من أقسامها إلى خمسة عشر:[سنذكر هنا ما له علاقة بموضوعنا وهي تكون للعطف].

قال – رحمه الله –:

الأول: العاطفة ومعناها مطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه نحو﴿فَأَنْجَيْنَاهُ

(١) سورة البقرة من الآية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف من الآية (١٦١).

(٣)المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري(٣/٥٨). يقصد أن الواو لا تدل على الترتيب ولا التعقيب فلا تدل على تقدم ما دخلت عليه على المتأخر ولا العكس بل يفهم ذلك من القرائن الخارجية كما سبق تحقيقه، وكذلك ما ساقه من الآيتين فقدم الأمر بالدخول سجدا على القول حطة في سورة البقرة ، وعكس في سورة الأعراف لأن القصد إلى الجمع بين الأمرين لا تقديم أحدهما على الآخر كما ذهب إليه كثير من المفسرين

(٤) ابن هشام:هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨ هـ، ولم يسمع من أبي حيان غير ديوان زهير بن أبي سلمي، وكان شافعي المذهب، وأصبح بصفته هذه مدرسا لعلم التفسير بألفية المنصورية بالقاهرة، ثم انتقل إلى المذهب الحنبلي قبل وفاته، ومن مصنفاته:قطر الندي وبل الصدى، وشذور الذهب في معرفة كلام العرب، والمغنى وغيرها توفي سنة٧٦١هـ.هدية العارفين في أسماء المؤلفين لإسماعيل باشا البغدادي(١/٣٦٥) ط المتنبي، بيروت ط ١٩٥١هـ، دائرة المعارف الإسلامية (١/٤٠٩).

وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾[١]، وعلى سابقه نحو﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾[٢] وعلى لاحقه نحو﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٣] وقد اجتمع هذان في ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾[٤] وهذا أصل أقسامها وأكثرها[٥]

وقال المرادي: فالواو أُمُ باب حروف العطف، لكثرة مجالها فيه، وهي مشركة في الإعراب والحكم.

ومذهب جمهور النحويين أنها للجمع المطلق، فإذا قلت: قام زيد وعمرو،احتمل ثلاثة أوجه: الأول أن يكونا قاما معاً في وقت واحد، والثاني أن يكون المتقدم قام أولاً، والثالث أن يكون المتأخر قام أولاً.

قال سيبويه: وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء بعد شيء.

وذهب قوم إلى أنها للترتيب، وهو منقول عن قطرب، وثعلب، وأبي عمر الزاهد غلام ثعلب، والربعي، وهشام، وأبي جعفر الدينوري،

ولكن قال هشام والدينوري: إن الواو لها معنيان:

معنى اجتماع، فلا تبالي بأيتهما بدأت، نحو: اختصم زيد وعمرو، ورأيت زيداً وعمراً، إذا اتحد زمان رؤيتهما.

ومعنى اقتران، بأن يختلف الزمان، فالمتقدم في الزمان يتقدم في اللفظ، ولا يجوز أن يتقدم المتأخر.

وعن الفراء أنها للترتيب حيث يستحيل الجمع ، وقد علم بذلك أن ما ذكره السيرافي والفارسي والسهيلي من إجماع النحاة بصريتهم وكوفيتهم على أن الواو لا ترتب غير صحيح.

(١) سورة العنكبوت من الآية (١٥).

(٢) سورة الحديد من الآية (٢٦).

(٣) سورة الشورى من الآية (٣).

(٤) سورة الأحزاب من الآية (٧).

(٥) مغني اللبيب لابن هشام(١/٤٩٤) ط دار الأرقم بن أبي الأرقم ط أولى١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م، تحقيق بركات يوسف هبّود.

قال ابن الخباز: وذهب الشافعيﷺ إلى أنها للترتيب، ويقال: نقله عن الفراء. وقال إمام الحرمين في البرهان: اشتهر من مذهب أصحاب الشافعي أنها للترتيب، وعند بعض الحنفية للمعية، وقد زل الفريقان.

وقال ابن مالك في التسهيل: تنفرد الواو بكون متبعها في الحكم محتملاً للمعية برجحان. وللتأخر بكثرة، وللتقدم بقلة. قيل: وهو مخالف في ذلك لكلام سيبويه وغيره.

وقال ابن كيسان: لما احتملت هذه الوجوه، ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء، كان أغلب أحوالها أن يكون الكلام على الجمع في كل حال حتى يكون في الكلام ما يدل على التفرق.(١)

واختلاف علماء النحو في مدلول الواو إذا كانت عاطفة هل هي للترتيب أو لمطلق الجمع له فائدته لما يترتب عليه، حيث يترتب عليه اختلاف في بعض الأحكام الشرعية كالاختلاف في الترتيب بين أعضاء الوضوء هل هو ركن أم لا ؟ وهل الحكم مستفاد من مدلول الواو أو من غيرها؟، فمن قال إنها تفيد الترتيب قال بوجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء بدلالة الواو، ومن قال بعدم وجوبه قال إنها لا تفيد سوى مطلق الجمع بين معطوفاتها من غير دلالة على تقديم أو ترتيب، ومن العلماء من قال بوجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء لكن ليس من دلالة الواو، وإنما من سياق الآية وهو أن الله فصل بين المغسولات بممسوح وهو مسح الرأس، والعرب تجمع في كلامها بين المتشابه ولا تفصل بين المتشابهات إلا لغرض، فالفصل إذن للدلالة على وجوب الترتيب بين الأعضاء كما ورد في الآية قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

(١) الجنى الداني في حروف المعاني(١٥٨، ١٥٩) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى١٤١٣هـ ـ١٩٩٢م.تحقيق د/ فخر الدين قباوه ، والأستاذ محمد نديم فاضل.

وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

وكما يختلف الحكم الشرعي في الترتيب بين أعضاء الوضوء على اختلاف معنى الحرف كذلك يختلف المعنى المراد في بعض الآيات كالخلاف الواقع بين العلماء في معرفة المتشابه من القرآن وعدم ذلك، وهذا الخلاف مترتب على اختلافهم في معنى الواو في الآية هل هي للعطف فيلزم عليه عطف الراسخون في العلم على لفظ الجلالة وأنهم يعلمون تأويل المتشابه،أو أن الواو هنا للاستئناف فلا تفيد سوى إيمانهم بالمتشابه وعدم معرفة معناه قال تعالى﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢)(٣)

وبذلك يتبين لنا شدة الارتباط بين علوم اللغة والتفسير والفقه، وتوقف كثير من هذه العلوم على معرفة اللغة.

وتنفرد الواو العاطفة عن سائر أحرف العطف كالفاء، وثم، وبل، وغيرها بخمسة عشر حكما:

أحدها:احتمال معطوفها للمعاني الثلاثة السابقة وهي عطف الشيء على مصاحبه ، أو على لاحقه ، أو على سابقه.

والثاني:اقترانها بإما نحو ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٤)

والثالث:اقترانها بـــ(لا) إن سبقت بنفي ولم تقصد المعية نحو: ما قام زيد ولا عمرو

(١) سورة المائدة الآية (٦)

(٢) سورة آل عمران الآية (٧)

(٣) ينظر أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية د/عبد القادر عبدالرحمن السعدي ص(١٤٤، ١٧٣) ط دار عمار ط أولى ١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م.

(٤) سورة الإنسان من الآية (٣).

ولتفيد أن الفعل منفي عنهما في حالتي الاجتماع والافتراق ومنه﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾[١] والعطف حينئذ من عطف الجمل عند بعضهم على إضمار العامل والمشهور أنه من عطف المفردات، وإذا فقد أحد الشرطين امتنع دخولها فلا يجوز نحو: قام زيد ولا عمرو، وإنما جاز﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٢] لأن في (غير) معنى النفي، ولا يجوز: ما اختصم زيد ولا عمرو لأنه للمعية لا غير، وأما﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ. وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ. وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ. وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[٣] فلا الثانية والرابعة والخامسة زوائد لأمن اللبس.

والرابع:اقترانها بلكن نحو﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾[٤]

والخامس:عطف المفرد السببي على الأجنبي عند الاحتياج إلى الربط كمررت برجل قائم زيد وأخوه، ونحو:زيد قائم عمرو وغلامه، وقولك في باب الاشتغال: زيدا ضربت عمرا وأخاه.

والسادس:عطف العقد على النيف نحو أحد وعشرون.[٥]

والسابع: عطف الصفات المفرقة مع اجتماع منعوتها كقوله:

بكيت وما بكا رجل حزين... على ربعين مسلوب وبال[٦]

والثامن:عطف ما حقه التثنية أو الجمع نحو قول الفرزدق:

(١) سورة سبأ من الآية (٣٧).

(٢) سورة الفاتحة من الآية (٧).

(٣) سورة فاطر الآيات (١٩، ٢٢)

(٤) سورة الأحزاب من الآية (٤٠).

(٥) النيف: هو ما زاد على العقد حتى يبلغ العقد الآخر والعقود عشرات ومئات وألوف ، وفي الدماميني لا مانع من قولك: مضت ثلاثة فعشرون أو ثم عشرون، ويمكن أن يكون مراد المصنف عطف العقد على النيف عند تركيبهما وجعلهما عددا واحدا تقول: هذه ثلاثة وعشرون أوقية مثلا ولا تقول فعشرون أو ثم عشرون.حاشية محمد الأمير بهامش مغني اللبيب(٢/٣١).

(٦) البيت لشاعر يقال له ابن ميادة ، ونسب إلى رجل من باهلة ، والشاهد فيه:مجيء الواو حرف عطف ،عطف صفة على صفة وكلاهما لمنعوت واحد. مغني اللبيب(١/٤٩٥).

إن الرزية لا رزية مثلها... فقدان مثل محمد ومحمد[١]

التاسع:عطف مالا يستغنى عنه كاختصم زيد وعمرو، واشترك زيد وعمرو، وهذا من أقوى الأدلة على عدم إفادتها الترتيب ومن ذلك: جلست بين زيد وعمرو.

وتشاركها في هذا الحكم أم المتصلة في نحو: سواء علي أقمت أم قعدت فإنها عاطفة مالا يستغنى عنه.

والعاشر والحادي عشر:عطف العام على الخاص وبالعكس فالأول نحو﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾[٢] والثاني نحو﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ..الآية﴾[٣] ويشاركها في هذا الحكم الأخير(حتى) كمات الناس حتى الأنبياء، وقدم الحجاج حتى المشاة فإنها عاطفة خاصا على عام.

والثاني عشر:عطف عامل حذف وبقي معموله على عامل آخر مذكور يجمعهما معنى واحد كقوله:

... وزججن الحواجب والعيونا[٤]

أي: وكحلن العيون والجامع بينهما التحسين ولولا هذا التقييد لورد اشتريته بدرهم فصاعدا إذ التقدير: فذهب الثمن صاعدا.

(١) البيت من بحر الكامل للفرزدق ينظر ربيع الأبرار للزمخشري(١/٤٣٣) مر الإسكندر بمدينة ملكها سبعة وبادوا، فسأل: هل بقي من نسلهم أحد؟ فقالوا: بقي واحد هو في المقابر، فدعا به وقال: لم تلزم المقابر؟ قال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء. فقال له:هل لك أن تتبعني حتى أبلغ بك بغيتك؟ قال:بغيتي حياة لا موت معها، فهل تقدر عليها؟ قال: لا، قال: فدعني أطلبها ممن يقدر عليها.
والشاهد في البيت:مثل محمد ومحمد، ومجيء الواو عاطفة محمدا الثاني على الأول وكان في الإمكان تثنيتهما، والاستغناء عن العطف لولا الضرورة الشعرية، فيقال: مثل المحمدين. مغنى اللبيب(١/٤٩٦).

(٢) سورة نوح من الآية (٢٨).

(٣) سورة الأحزاب من الآية (٧).

(٤) عجز بيت من الرجز وصدره: **إذا ما الغانيات برَزْنَ يَوْماً**. ينظر لسان العرب(٦/٢٠) زجج.
والشاهد في البيت:مجيء الواو عاطفة فعلا محذوفا تقديره:كحلن على فعل زججن. مغنى اللبيب(١/٤٩٧).

والثالث عشر:عطف الشيء على مرادفه نحو﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[١] ونحو﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٢]، ونحو﴿عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[٣]

والرابع عشر:عطف المقدم على متبوعه للضرورة كقوله:

ألا يا نخلة من ذات عرق... عليك ورحمة الله السلام [٤]

والخامس عشر:عطف المخفوض على الجوار كقوله تعالى﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[٥] فيمن خفض الأرجل[٦].

هذا في الواو إذا كانت عاطفة وهي حينئذ غير عاملة، وهناك أنواع أخري للواو تكون فيها غير عاملة، وقد تعمل الواو النصب، والجر، وقد يرتفع ما بعدها كواو الاستئناف، وواو الحال.وهناك تفصيلات أخرى تطلب من مظانها من كتب اللغة.

هذا بالنسبة للحديث عن المعاني التي تستعمل فيها الواو؛ وذلك لأن الواو هي مدار حديثنا في موضوع الفصل والوصل فكان لابد من معرفة المعاني التي تستعمل لها.

* * *

(١) سورة يوسف من الآية (٨٦).

(٢) سورة البقرة من الآية (١٥٧).

(٣) سورة طه من الآية (١٠٧).

(٤) ينسب البيت إلى الأحوص، ومحل الشاهد فيه:ورحمة الله السلام، ووجه الاستشهاد:مجيء الواو عاطفة المقدم على متبوعه للضرورة الشعرية لأن الأصل عليك السلام ورحمة الله. مغنى اللبيب(٤٩٨/١).

(٥) سورة المائدة من الآية (٦).

(٦) مغني اللبيب لابن هشام بتصرف(٤٩٨/١).وقوله: فيمن خفض الأرجل وقد قرأها بالنصب نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنصب ، وقرأ الباقون بالخفض ، وحجة من قرأها بالخفض أنه حمله على العطف على الرؤوس لأنها أقرب إلى الأرجل من الوجوه ويكون المراد المسح على الخف ،أو الغسل والعرب تقول:تمسحت للصلاة أي:توضأت لها، وحجة من نصبه أنه عطف على الوجوه والأيدي لما ثبت من السنة والإجماع على غسل الأرجل فتكون مغسولة إذ التقدير:واغسلوا أرجلَكم.ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي(٤٠٦/١، ٤٠٧) بتصرف ط مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط ١٣٩٤هـ ـ١٩٧٤م ،تحقيق د/ محي الدين رمضان.

المطلب الثاني

عدم القول بزيادة الحروف

سبق أن ذكرنا أن القرآن الكريم قد أحكم الحقُ سبحانه بناءه فلا نجد حرفا وضع في غير موضعه، ولا كلمة في غير مكانها يقول ابن عطية:إن الله قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما إذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أي لفظة تصلح أن تبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشرا لم يكن قط محيطا فلهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة[١].

فالكلمة في القرآن تساق في موقعها المناسب بجرسها الملائم للمعنى المقصود منها وتنسجم مع ما قبلها وما بعدها لفظا ومعنى بحيث لو تغير وضع الكلمة تقديما أو تأخيرا ،أو حذفا، أو لو تغير حرف في الجملة لاختل النظم والمعنى ، قال تعالى﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ.هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[٢]

إنك إذا حاولت أن تبدل كلمة بمعنى آخر لها لاختل النظم واضطرب، لو استبدلت كلمة الفجر بكلمة الصبح مثلا،أو كلمة الوتر بكلمة الفرد،أو كلمة الحجر بكلمة العقل فإن نظم الآيات يضطرب ولا يستقيم، وهذا أحد وجوه حفظ الله لهذا الكتاب﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣][٤]

ومع هذا فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن بعض حروف المعاني في القرآن زائدة، ومقصدهم أنها زائدة من حيث الإعراب، وبعضهم جعلها زائدة من حيث المعنى.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية(٥٢/١) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثانية ١٤٢٨هـ ـ٢٠٠٧.

(٢) سورة الفجر الآيات(١، ٥).

(٣) سورة الحجر الآية (٩)

(٤) إعجاز القرآن د/ حكمت الحريري (١٢١، ١٢٢) ط مركز عبادي للنشر صنعاء ط أولى ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٤م.

قال الزركشي: الزيادة، والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ويسمونه التأكيد، ومنهم من يسميه بالصلة ، ومنهم من يسميه المقحم.

قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى، وبابها الحروف والأفعال، كقوله تعالى﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ..﴾[1]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ..﴾[2]، وقوله﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[3] قيل كان هاهنا زائدة وإلا لم يكن فيه إعجاز لأن الرجال كلهم كانوا في المهد، وانتصب صبيا على الحال.

وقال ابن عصفور: هي في كلامهم زيدت في وسط الكلام للتأكيد وهي مؤكدة للماضي في قالوا.

واعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين قال سيبويه عقب قوله تعالى﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ..﴾ إن (ما) لغو لأنها لم تحدث شيئا.

والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى؛ فإن قوله﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ..﴾ معناه:ما لنت لهم إلا رحمة وهذا قد جمع نفيا وإثباتا ثم اختصر على هذه الإرادة وجمع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي(ما).

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن فمنهم من أنكره قال الطرطوسي في العمدة زعم المبرد وثعلب ألا صلة في القرآن والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيرا.

وقال ابن الخباز في التوجيه وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة وما جاء منه حمله على التوكيد.

ومنهم من جوزه وجعل وجوده كالعدم وهو أفسد الطرق، وقد رد على فخر الدين

(١) سورة النساء من الآية (١٥٥).
(٢) سورة آل عمران من الآية (١٥٩).
(٣) سورة مريم الآية (٢٩).

الرازي قوله إن المحققين على أن المهمل لا يقع في كلام الله سبحانه، فأما في قوله تعالى﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ..﴾ فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب، والتقدير: فبأي رحمة فجعل الزائد مهملا وليس كذلك؛ لأن الزائد ما أتى به لغرض التقوية والتوكيد والمهمل ما لم تضعه العرب وهو ضد المستعمل وليس المراد من الزيادة حيث ذكرها النحويون إهمال اللفظ ولا كونه لغوا فتحتاج إلى التنكب عن التعبير بها إلى غيرها فإنهم إنما سموا ما زائدة هنا لجواز تعدى العامل قبلها إلى ما بعدها لا لأنها ليس لها معنى.

وأما ما قاله في الآية إنها للاستفهام التعجبي فقد انتقد عليه بأن قيل تقديره: فبأي رحمة دليل على أنه جعل ما مضافة للرحمة وأسماء الاستفهام التعجبي لا يضاف منها غير أي وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلا منها والمبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام وليست الهمزة مذكورة فدل على بطلان هذه الدعوى.[1]

ودعوى الزيادة غير صحيح ولا مقبول، فالحروف القرآنية ذات دور وأثر في توضيح المعنى وتقريره وفي أسلوب القرآن وفصاحته وإعجازه.

وإذا قلنا إن هذا الحرف زائد فمعنى هذا أنه لا عمل له ولا فائدة منه، وأنه يمكن حذفه من الجملة، وأنه لو حذف منها لما اختل بناؤها، ولا تغير معناها، وبهذا يكون ذكر الحرف حشوا، وهذا الكلام قد يصح في كلام البشر وعباراتهم وأساليبهم، ولكنه لا يصح في كلام الله، لا يصح في أسلوب القرآن وتعبيره وآياته.

وخير من يرد هذا الزعم قول الله تعالى﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2].

وقد بين الزركشي أن القول بعدم الزيادة هو قول الأكثرين وإن خالف في ذلك البعض ومال الزركشي إلى القول بعدم الزيادة واجتناب التعبير بذلك بالإضافة إلى القرآن.

(١) البرهان في علوم القرآن(٣/٧٩، ٨١).
(٢) سورة النساء من الآية (٨٢)

ومن الحروف التي قالوا إنها زائدة الباء الداخلة على خبر ليس، وخبر(ما) التي تعمل عمل ليس كما في قوله تعالى﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١]﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢]﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[٣]

إن الغالب في خبر ليس وخبر(ما) التي تعمل عملها في الأسلوب القرآني أن يجيء مقترنا بالباء حيث

ورد في عديد من الآيات، والذين قالوا إن الباء في هذه الآيات زائدة لا يعنون بلفظ الزيادة أنها تأتي عبثا أو لغوا ، وإنما هي زائدة عندهم للتوكيد، ومع ذلك فقولهم غير مقبول؛إذ لا يهون القول بأنها حروف زائدة ؛إذ أن مقتضي القول بالزيادة إمكان الاستغناء عنها وطرحها ، وهو مما لا يؤنس إليه القول البياني[٤].

وقد ذكر بعض النحويين القول بزيادة الواو قال ابن هشام في عداد معاني الواو:

" والثامن ــ يعني من أقسامها ــ واو دخولها كخروجها وهي الزائدة أثبتها الكوفيون والأخفش وجماعة وحمل على ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[٥] بدليل الآية الأخرى، وقيل هي عاطفة والزائدة الواو في﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾[٦]، وقيل هما عاطفتان والجواب محذوف أي: كان كيت وكيت، وكذا البحث في﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ.وَنَادَيْنَاهُ﴾[٧]الأولى أو الثانية زائدة على القول الأول أو هما عاطفتان والجواب محذوف على القول الثاني.[٨]

(١) سورة الأنفال من الآية(٥١).
(٢) سورة المجادلة من الآية (١٠).
(٣) سورة التكوير الآية (٢٢).
(٤) البيان في إعجاز القرآن د/ صلاح الدين الخالدي (١٤٦، ١٤٨) ط دار عمار ط أولى ١٤١٠هـ ــ١٩٨٩م.
(٥) سورة الزمر من الآية (٧٣).
(٦) سورة الزمر من الآية (٧٣).
(٧) سورة الصافات الآيتان (١٠٣، ١٠٤).
(٨) مغنى اللبيب لابن هشام(٥٠٣/١).

ومن الأمثلة التي قالوا فيها بزيادة الواو وهو ما له علاقة بموضوعنا قوله تعالى﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[١]

يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه أرى إبراهيمعليه السلام ملكوت السماوات والأرض ومن حكم ذلك أنه أراد أن يكون من الموقنين، والشاهد في الآية قوله ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

فقد اعتبر أنصار القول بالزيادة في القرآن الواو فيها زائدة، لأن اللام في ليكون للتعليل، فالله أرى إبراهيمعليه السلام ملكوت السماوات والأرض ليكون موقنا فلا وظيفة للواو لا نحوية ولا بيانية ، ومعنى الجملة أرينا إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ليكون موقنا، قالوا وهذه الآية كقوله تعالى﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ..﴾[٢]

فالله سخر البحر للناس لتجري فيه السفن بمصالحهم، ولم يدخل الواو على الجملة التعليلية، فلم يقل ولتجري الفلك فيه، وكلام هؤلاء مردود ففرق بعيد بين الآيتين.

إن الواو في قوله﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ حرف عطف، وليست زائدة وما بعدها معطوف على جملة مقدرة، والتقدير:وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ليكون من العالمين، وليكون من الموقنين أي:أرينا إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ليكون عالما وليكون موقنا.[٣]

وقد رد القول بزيادة الواو في الآية كثير من المفسرين:

قال العلامة الألوسي: ومن الناس من جوز كون الواو زائدة واللام متعلقة بما قبل، وفيه بُعد وإن ذكروه وجهاً كالأولين في كل ما جاء في القرآن من هذا القبيل[٤].

(١) سورة الأنعام الآية (٧٥).
(٢) سورة الجاثية من الآية (١٢).
(٣) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني د صلاح الدين الخالدي(١٨٠، ١٨١، ١٨٢) ط دار عمار ط ثانية ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
(٤) روح المعاني للعلامة الألوسي(٢٨٨/٥) ط دار الفكر بيروت لبنان، بدون تاريخ.

وقدر بعضهم متعلق اللام متأخرا، وجعل الجملة اعتراضية بين قوله﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1] وبين قوله﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[2]، وساق القول المتقدم وهو العطف على علة مقدرة بصيغة التمريض

قال أبو السعود: واللام في قوله تعالى:﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الموقنين﴾ متعلقةٌ بمحذوفٍ مؤخر، والجملةُ اعتراضٌ مقرِّر لما قبلها أي: وليكون من زُمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجةَ عينِ اليقين من معرفة الله تعالى، فعلنا ما فعلنا من التبصير البديعِ المذكورِ، لا لأمرٍ آخرَ فإن الوصولَ إلى تلك الغاية القاصيةِ كمالٌ مترتبٌ على ذلك التبصير لا عينُه، وليس القصرُ لبيان انحصار فائدتِه في ذلك، كيف لا وإرشادُ الخلق وإلزامُ المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مريْة بل لبيان أنه الأصلُ الأصيلُ والباقي من مستَتْبِعاته، وقيل:هي متعلقة بالفعل السابق والجملةُ معطوفة على علةٍ أخرى محذوفةٍ ينسحبُ عليها الكلامُ أي ليستدلَّ بها وليكونَ الخ، فينبغي أن يُرادَ بملكوتهما بدائعُهما وآياتُهما لأن الاستدلالَ من غاياتِ إراءَتِها لا من غايات إراءةِ نفسِ الربوبية.[3]

فها أنت ذا تري أن القول بزيادة الواو في الآية ضعيف مما يؤكد أن كل حرف في القرآن وضع بغاية من الدقة، وأن الأولى اجتناب مثل هذا التعبير بإطلاق لفظ الزائد في القرآن الكريم.

المطلب الثالث

عدم القول بالتناوب بين الحروف:

قضية تناوب الحروف بعضها عن بعض قضية نحوية خلافية، فالبصريون لا يجيزون ذلك لا في لغة العرب ولا في أسلوب القرآن، والكوفيون يجيزون ذلك في لغة

(١) سورة الأنعام الآية (٧٤)

(٢) سورة الأنعام الآية (٧٦)

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود(٣/٧٤) ط دار الفكر ط أولى بيروت، لبنان١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م.

العرب وفي أسلوب القرآن.

إن مما يتفق مع الإعجاز البياني في التعبير القرآني حمل الحرف على معناه وفهم الآية على معنى ذلك الحرف، وعدم تفسير ذلك الحرف بمعنى حرف آخر.

ومن الحروف المتناوبة في رأيهم الواو تنوب عن أو.

قال ابن هشام: تنبيه:

زعم قوم أن الواو قد تخرج عن إفادة مطلق الجمع وذلك على أوجه:

أحدها:أن تستعمل بمعنى(أو) وذلك على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون بمعناها في التقسيم كقولك: الكلمة اسم وفعل وحرف.

وممن ذكر ذلك ابن مالك في التحفة، والصواب أنها في ذلك على معناها الأصلي إذ الأنواع مجتمعة في الدخول تحت الجنس ولو كانت أو هي الأصل في التقسيم لكان استعمالها فيه أكثر من استعمال الواو.

والثاني: أن تكون بمعنى "أو" في الإباحة قاله الزمخشرى وزعم أنه يقال: جالس الحسن وابن سيرين. أي: أحدهما، وأنه لهذا قيل﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ..﴾[1] بعد ذكر ثلاثة وسبعة لئلا يتوهم إرادة الإباحة والمعروف من كلام النحويين أنه لو قيل:جالس الحسن وابن سيرين كان أمراً بمجالسة كل منهما وجعلوا ذلك فرقا بين العطف بالواو والعطف بأو.

والثالث:أن تكون بمعناها في التخيير.[2]

وقال المرادي في كتابه الجني الداني في حروف المعاني:

الخامس[يعني من أقسام الواو]:الواو التي بمعنى أو: ذهب قوم من النحويين إلى أن الواو قد ترد بمعنى أو، كقول الشاعر:

(١) سورة البقرة من الآية (١٩٦)

(٢) مغني اللبيب(١/٤٩٨). يعنى فائدة قوله ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ..﴾ أن لا يتوهم متوهم أن الواو بمعنى أو، كقولك: جالس الحسن وابن سيرين أي: أحدهما فيكون المعنى أن من لم يقدر على الهدي يجوز له صيام ثلاثة أيام أو سبعة مع عدم الجمع بينهما وإنما الصواب الجمع بينهما فلا تكون الواو بمعنى أو.

وننصر مولانا، ونعلم أنه... كما الناس، مجروم عليه، وجارم

وأجاز بعضهم أن تكون الواو في قولهم: الكلمة اسم وفعل وحرف بمعنى أو، لأنه قد يقال: اسم أو فعل أو حرف. قلت: العكس أقرب، لأن استعمال الواو في ذلك هو الأكثر. قال ابن مالك: استعمال الواو فيما هو تقسيم أجود من استعمال أو[1].

ومن الآيات التي قيل فيها بتناوب الواو عن(أو) قوله تعالى﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ..﴾[2] حيث زعموا أنها ليست بمعنى العطف؛ إذ لو كانت كذلك لجاز الزواج بتسع نساء في نفس الوقت، ولهذا قالوا إنها بمعنى أو التخييرية.

لكن فريقا من العلماء ذهبوا إلى عدم القول بالتناوب واستعاضوا عنه بالقول بالتضمين: وهو جعل الشيء في ضمن الشيء مشتملا عليه، وإذا كانوا قد اعتبروا التناوب بين الحروف مرجوحا ضعيفا لا يتفق مع فصاحة اللغة ودقة ألفاظ القرآن، فإن التضمين مظهر من مظاهر فصاحة اللغة وسمو البيان القرآني المعجز. والتضمين يكون في الأفعال وفي الحروف ويعتبر مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن، وصورة من صور الإيجاز القرآني العالي؛لأنه فعلان في فعل، وحرفان في حرف.

فالذين قالوا بأن الواو في الآية على أصل معناها وهو مطلق الجمع قالوا بجواز الجمع بين تسع نسوة وهو قول باطل؛لأنه مخالف للنصوص الشرعية التي تدل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع نسوة. وقال آخرون:الواو نابت عن أو.

والقول الثالث:أن الواو ضمنت معنى(أو)، فدلت على معنى (أو) وهو التخيير ثم دلت على معناها هي من مطلق الجمع.

بيان ذلك:

أولا:ما الحكمة من العدول عن أصول الأعداد إلى ما ذكر في الآية ، كثيرون لم

(١) الجني الداني في حروف المعاني(١٦٦، ١٦٧)

(٢) سورة النساء من الآية (٣)

يفرقوا بين اثنين ، وثلاث وأربع ، وبين مثنى وثلاث ورباع ،الأعداد الأصول هي اثنان وثلاثة وأربعة..، وهذه الأعداد الأصول تقبل الجمع قال تعالى﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ..﴾[1] وقال﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..﴾[2]، ولو قال في رخصة تعدد الزوجات اثنتين وثلاثة وأربعة لدل ذلك على الجمع وجاز الجمع بين تسع زوجات في وقت واحد، ولكن القرآن دقيق في التعبير فلم يذكر في رخصة التعدد أصول الأعداد وإنما عدل عن الأصول إلى صيغ جديدة فقال مثنى وثلاث ورباع ، وهذه الصيغ الجديدة لا تقبل الجمع أبدا ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ..﴾[3] فالواو في هذه الآية وهي نظيرة للآية التي معنا ليست بمعنى أو فالآية تخبر أن الله خلق الملائكة أولي أجنحة ، وأنهم ليسوا سواء في عدد الأجنحة ، فمنهم أولو أجنحة مثنى، ومنهم أولوا أجنحة ثلاث، ومنهم أولوا أجنحة رباع ، ومنهم أولوا أجنحة أكثر من ذلك، ولو قال أولى أجنحة اثنتين وثلاثة وأربعة لكان لكل ملك منهم تسعة أجنحة لأن هذه أعداد أصول والواو لمطلق الجمع.

ثانيا: حين ننظر لآية النساء نقول: لا يصح القول بأن الواو لمطلق الجمع لما يلزم عليه من المحظور المخالف للنصوص الشرعية الأخرى وأن هذا كان خاصا بالرسولﷺ ، ولا يصح أن يقال إن الواو نابت عن أو لأن أو تفيد التخيير والتخيير يكون ملزما بمعنى أن الحكم يكون تخييرا للرجال بين أن ينكحوا مثنى من النساء أو ثلاث أو رباع ، لكن من اختار للزواج مثنى لا يجوز له أن يتزوج بعد ذلك، ومن اختار للزواج ثلاث لا يجوز له أن يتزوج رباع بعد ذلك ، فهو إما أن يتزوج مثنى ويتوقف عند ذلك ، وإما أن يتزوج ثلاث ويتوقف عند ذلك ، وإما أن يتزوج رباع

(١) سورة البقرة من الآية (١٩٦).

(٢) سورة الأعراف من الآية (١٤٢).

(٣) سورة فاطر من الآية (١).

ويتوقف عند ذلك ، والقرآن لا يقول ذلك فهو يبيح للرجل أن يتزوج مثنى وينتقل بعد ذلك إلى ثلاث أو رباع المهم أنه لا يجمع في عصمته أكثر من أربع نسوة.

أما لماذا اختار الواو وضمنها معنى أو فدلت على معنى أو ثم دلت على معنى الواو؟.

أن هذا هو المراد من الآية هذين المعنيين ، فالآية تبيح للرجال تعدد الزوجات ، وتخير الواحد في أي عدد أراد مما ذكر فيها بشرط العدل فهو إما أن يتزوج بواحدة، وإما أن يتزوج باثنتين، وإما أن يتزوج بثلاث نساء ، وإما أن يتزوج بأربع نسوة ، ومن تزوج مثنى من النساء يباح له التزوج بثلاث ، ومن تزوج بثلاث يباح له التزوج برباع ، وهذا هو معنى التخيير الذي هو معنى الحرف (أو)، وعند تطبيق معنى الواو تتحدث الآية عن أصناف الرجال بالنسبة للتعدد، وتبين أنهم ثلاثة أصناف معطوف بعضها على بعض بحرف الواو، هناك من يتزوجون مثنى من النساء ، وهناك آخرون يتزوجون ثلاثا من النساء، وهناك آخرون يتزوجون أربعا من النساء ، ولا يجوز الزيادة على هذا العدد في وقت واحد[1].

قال الزمخشرى: فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟

قلت: الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له، كما تقول للجماعة:اقتسموا هذا المال ــ وهو ألف درهم ــ درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ولو أفردت لم يكن له معنى، فإن قلت: فلم جاء العطف بالواو دون أو؟ قلت: كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك. ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة: أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع،

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني د/ صلاح الخالدي (١٦٢، ١٦٥) بتصرف.

وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو.

وتحريره: أنّ الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظوراً عليهم ما وراء ذلك.[1]

وبهذا يتبين لنا أن القول بالتناوب بين الحروف لا يصح على الأكثر وأن القول بالتضمين هو الأصح.

المطلب الرابع

قضية الحذف في القرآن

يري بعض اللغويين والنحويين أن بعض الحروف تكون مقدرة محذوفة ويقومون بتأويل الآيات على تقدير تلك الحروف ثم تأويل حذفها.

قال الزركشي: قال أبو الفتح في المحتسب أخبرنا أبو علي قال قال أبو بكر بن السراج حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله ألا تراك إذا قلت: ما قام زيد فقد نابت (ما) عن: أنفي ، كما نابت (إلا)عن: أستثنى، وكما نابت الهمزة وهل عن: أستفهم، وكما نابت حروف العطف عن: أعطف ونحو ذلك فلو ذهبت تحذف الحرف لكان ذلك اختصارا واختصار المختصر إجحاف به إلا إذا صح التوجه إليه وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه. انتهى

فمنه الواو تحذف لقصد البلاغة؛ فإن في إثباتها ما يقتضى تغاير المتعاطفين فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد كقوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ..﴾[2] تقديره ولا يألونكم خبالا.

وقال الواحدي في قوله تعالى ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا..﴾[3] في مصاحف الشام بغير

(١) الكشاف للزمخشري (١/٤٩٧).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١١٨).

(٣) سورة البقرة من الآية(١١٦). وحمله كثير من المفسرين على الاستئناف.

واو يعني قراءة ابن عامر[١] لأن هذه الآية ملابسة لما قبلها من قوله﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ..﴾[٢]لأن القائلين اتخذ الله ولدا من جملة المتقدم ذكرهم فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها، وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف ويكتفى للربط بينها وبين ما قبلها بالملابسة كما ذكر ويجوز ألا يلاحظ ذلك فتكون الجملة مستأنفة.[٣]

ومن الأمثلة على تقدير المحذوف في الكلام قوله تعالى﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ..﴾[٤] يعني:لا تفتأ، وقوله﴿..يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا..﴾[٥] يعنى أن لا تضلوا.

وقد بينت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في كتابها الإعجاز البياني معنى بعض الآيات التي قيل فيها بالحذف قالت في التعليق على قوله تعالى﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ..﴾:" وتأويل الحذف فيها يخضع للقاعدة النحوية في حذف لا النافية ، وهم يقولون إنها تحذف اطرادا في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعا وقدموا له شواهد من الشعر، أما القرآن فقدموا منه آية سورة يوسف هذه﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ..﴾ على تأويل حرف لا محذوفا والتقدير: تالله لا تفتأ تذكر يوسف، والذي نفهمه هو أنه متى اطرد الحذف كقولهم فالسياق مستغن عن المحذوف، ولا وجه إذن لتأويل الحرف ثم تأويل حذفه ؛ لأن السياق متى أعطى المعنى المراد مستغنيا عن هذا الحرف أو عن غيره كان ذكره من الفضول أو الحشو الذي يتنزه عنه الكلام البليغ فضلا عن البيان المعجز، وأراهم في تقدير حرف نفي محذوف حملوا تفتأ على ما زال أمّ الباب من أفعال الاستمرار، وكأنهم قد فاتهم أن زال لا تكون فعل استمرار إلا منفية، فإذا لم يسبقها حرف نفي فهي تامة بمعنى الزوال نقيض البقاء ، واستعمالها تامة

(١) وهي قراءة متواترة الكشف عن وجوه القراءات (٢٦٠/١)
(٢) سورة البقرة من الآية(١١٣).
(٣)البرهان في علوم القرآن للزركشي(٢٠٩/٣).
(٤) سورة يوسف من الآية(٨٥).
(٥) سورة النساء من الآية(١٧٦)

كثير في العربية ، وهي تتصرف فيه فعلا، ومصدرا، واسم فاعل، و مفعول، وزمان، ومكان...

على حين تفيد فتئ معنى الاستمرار أصالة مستغنية عن حرف النفي، ولا تأتي تامة في العربية فيما أذكر، وقلما تتصرف فيها إلا بالفعل ماضيا ومضارعا فتئ ويفتأ ولا ينفك عنهما معنى الاستمرار".[١]

وعن قوله تعالى﴿..يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا..﴾ قالت:" وأما ما جوزوا فيه الحذف بغير اطراد فذكر ابن هشام في المغني أنه قيل به في آية ﴿..يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا..﴾على تقدير لئلا تضلوا ثم أضاف وقيل: المحذوف مضاف أي كراهة أن تضلوا.

والآية من آيات الأحكام في تشريع المواريث، وسياقها مستغن تماما عن تقدير حرف محذوف لم يجد البيان القرآني حاجة إلى ذكره ؛ إذ لا يخطر على البال إيهام أن يكون المعنى: يبين الله لكم لتضلوا وإنما يبين الله لنا ما نتقي به الضلال، ومتى أعطى السياق المعنى المراد مستغنيا عن الحرف الذي قدروه محذوفا فذكر المحذوف الذي لا حاجة إليه يأباه البيان العالي إذ لو كان الحذف مما يوقع في شبهة إيهام لاقتضى المقام في آية تشريع وجوب ذكره دفعا لأي وهم أو لبس"[٢].

وعندما ننظر إلى تلك القضية بعين التدبر يجد الباحث في القرآن الكريم أن هناك آيات لابد فيها من تقدير محذوف لا يستقيم الكلام بدونه ولكن حذفه هو مقتضي البلاغة حيث يفهم من السياق فيكون ذكره مخلا ببلاغة النظم القرآني.

ولكن لابد لهذا المحذوف من قرينة تدل عليه، ولابد أن يكون الكلام مستغنيا عنه أي يفهم بدونه.

والأدلة على الحذف كثيرة منها:

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (١٧٨، ١٧٩). نشر دار المعارف القاهرة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
(٢) المرجع السابق(١٧٩).

ـ دلالة الحال: وذلك مثل قوله تعالى﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[1] فإن الحال يدل على أن في الآية أكثر من محذوف.

أ ـ في قوله سبحانه﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾أي: نسلم سلاما.

ب ـ في قوله سبحانه﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي:عليكم سلام.

ج ـ في قوله سبحانه﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾أي:أنتم قوم منكرون.

ـ دلالة المقال: وذلك مثل قوله سبحانه﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا..﴾[2]أي:أنزل خيرا، وإنما دلنا على هذا المحذوف(أنزل) القول الذي تقدم عليه.

ـ دلالة العقل:

قد يرشد إلى المحذوف العقل، وهذا المحذوف الذي يرشد إليه العقل تارة يعينه العقل نفسه، وتارة يعينه الشرع ، وتارة يعينه العرف.

فما عينه العقل نفسه مثل قوله تعالى﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] فإن العقل هو الذي عين أن المحذوف هو أهل القرية لاستحالة حمل القرية على أصل حقيقتها وهي الجدران.

ومثال ما عينه الشرع﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ..﴾[4] فإن العقل دل على الحذف، ولكن الذي عينه هو الشرع وهو الأكل من الميتة.

ومثال ما عينه العرف قوله سبحانه﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ..﴾[5] فإن العقل يدل على أصل الحذف، ولكن العرف هو الذي يعين المحذوف فيوسف عليه السلام ليس محلا للوم، وإنما اللوم في شأن من شؤونه ، وهو المراودة يعنى الذي لمتنني في مراودته[6].

(١) سورة الذاريات الآيتان (٢٤، ٢٥).

(٢) سورة النحل من الآية (٣٠).

(٣) سورة يوسف من الآية (٨٢).

(٤) سورة المائدة من الآية (٣).

(٥) سورة يوسف من الآية (٣٢)

(٦) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) د فضل حسن عباس(٤٧٥، ٤٧٦) بتصرف، نشر دار الفرقان عمان ط تاسعة ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٤م.،وينظر البرهان في علوم القرآن(٣/١١٩) فما بعدها.

إذن فالحذف إنما يكون إذا دل عليه دليل، وصح الكلام بدونه فذكره حينئذ مخل ببلاغة النظم القائم على الإيجاز في مقام الإيجاز.

والدكتورة بنت الشاطئ نفسها تقول بالحذف في تفسيرها فعند تفسيرها لقوله تعالى﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[1] تذكر أقوال المفسرين في حذف ضمير الخطاب في﴿قَلَى﴾ ؛ إذ أصلها: قلاك ثم تقول:وأما الحذف لرعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]

ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة ،بالغة الدقة في اللطف والإيناس وهي تحاشي خطابه لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك لما في القلي من الطرد والإبعاد وشدة البغض،أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك.[3]

فهاأنت ذا ترى في كلامها القول بالحذف، فلعل مقصودها هناك عدم القول بالحذف في حروف المعاني وليس مطلقا، ولعل قولها هذا راجع إلى نظرها إلى من يعممون هذا الحذف ويقولون به في القرآن من غير دليل عليه مع التكلف في حمل الآية علي الحذف.

وإنما قدمنا هذه المطالب بين يدي الحديث عن الفصل والوصل في القرآن الكريم لنبين للقارئ أن القرآن تميز بالدقة في الذكر والحذف ووضع كل حرف موضعه اللائق به، وأنه حين العطف لا يكون هذا العطف جزافا أو اعتباطا، وحين ترك هذا

(١) سورة الضحى الآية (٣).

(٢) سورة الضحى الآيات (٩، ١٠، ١١).

(٣) التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن (١/٣٥) ط دار المعارف ط خامسة ١٣٩٧هـ ـ١٩٧٧م.

العطف كذلك، وإنما الحكمة البالغة في وضع الكلمة في موضعها المناسب، وكذلك الحرف.

المطلب الخامس

الفصل والوصل بين المفردات

حين يقدم الباحث الحديث عن مواطن الفصل والوصل في القرآن الكريم في تلك الآونة إنما يرجع ذلك إلى تنبيه القارئ إلى بلاغة القرآن الكريم، وأنه جاء على لغة العرب، وقد كان العرب قديما بفطرتهم السليمة وسليقتهم النقية يدركون مواطن الفصل والوصل في الكلام وكان ذلك فطرة فيهم أي أن الأسلوب الخاص الذي يقتضي الواو مثلا أو تركها كان يجري في التعبير على نحو تلقائي لأنه معبر عن وجدانهم وفكرهم أما الآن وقد ضعفت العلاقة بين العرب ولغتهم ولم تصبح لهم الفطرة السليمة فهم في حاجة إلى بيان تلك المواطن.

يقول د/ صبّاح عبيد دراز: "والواقع أن ما يكمن في اللغة من نظام متكامل نحوي أو بلاغي مما يمثل عبقرية هذه اللغة ، لم يكن نهجا عقليا صارما عند العرب فحسب، بل كان حياة متكاملة:أعني تصويرا لعواطفهم وأحاسيسهم ومناحي تفكيرهم، فإدراكهم للأساليب كان حساً وجدانيا قبل أن يكون نظاما عقليا أو هما معا في تداخل لا انفصام فيه ، تأمل ما جاء في الأثر حين سأل أبو بكر الصديق ﷺ رجلا:هل تبيع هذا الثوب؟

قال: لا عافاك الله، فقال أبو بكر لو علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله ، يعني أن الواو هنا تفصل بين جملتين الأولى منفية وهي جواب عن سؤال، والثانية دعائية فيها أدب التعبير وسمو الذوق والخلق، ولو حذفت لأوهمت العبارة تحول المعني من الدعاء له إلى الدعاء عليه وهو عكس ما يتطلبه المقام[١].

والحديث عن الفصل والوصل بين المفردات مدخل إلى الفصل والوصل بين

(١) في البلاغة القرآنية أسرار الفصل والوصل د/ صبّاح عبيد دراز(٩) ط مطبعة الأمانة ط أولى ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

الجمل،وقد اعتبر البلاغيون في قواعدهم الفصل والوصل بين الجمل ولكن القرآن قد استخدم الفصل والوصل بين المفردات وبين الجمل.

قال الجرجاني: ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له، شريك له في ذلك.[١]

فالمقصد من العطف بين المفردات التشريك في الحكم والإعراب، ولكنك حين تنظر إلى بعض المفردات الواردة في القرآن الكريم تجد أنها قد ترد بدون عطف إذا كانت نعوتا لمنعوت واحد، وقد ترد بالعطف في موضع آخر وهذا جائز في لغة العرب حسبما يقتضي المقام فإذا ذكرت عدة صفات لموصوف واحد فقد تعددها بدون حرف عطف فتقول: يعجبني الطالب المجتهد السخي الذكي نقي القلب طاهر الذيل،عزيز النفس..

فتذكر الصفات دون ذكر حرف العطف بينها، ولكن قد يجد المتكلم نفسه مضطرا إلى ذكر العاطف لأن المقام يقتضي ذلك ويكون ذكر الواو العاطفة لازما.

قال الزركشي: إذا تكررت النعوت لواحد فتارة يترك العطف كقوله﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ.هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٢]، وتارة تشترك بالعطف كقوله﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣] ويشترط في ذلك اختلاف معانيها قال الزمخشري وأبو البقاء دخول العاطف يؤذن بأن كل صفة مستقلة، والعطف أحسن إن تباعد معنى الصفات نحو﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾[٤] وإلا فلا.[٥]

ومن ذلك قوله تعالى﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني(١٧٤).
(٢) سورة القلم الآيتان(٩، ١٠).
(٣) سورة الأعلى الآيات (١، ٢، ٣).
(٤) سورة الحديد من الآية (٣).
(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي(٤٩٥/٢).

الرَّحِيمُ.هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2] وقوله تعالى﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[3]

وحين الوقوف أمام هذه الآيات نجد أن بعض الآيات وردت بدون عطف كالآيات الأولى التي فيها تعداد لأسماء الله تعالى، وبعضها وردت بالعطف فيها بالواو، والعلماء أمام هذه الآيات بعضهم جعل فيها الواو لازمة لأنه لابد منها في الكلام حيث الصفات متقابلة فالأول مثلا غير الآخر، والظاهر غير الباطن، ومنهم من أطلق على هذه الواو أنها تسمى واو الثمانية.

قال صاحب كتاب الجنى الداني في حروف المعاني:

السادس: واو الثمانية(يعني من أنواع الواو غير العاملة): ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو، منهم ابن خالويه، والحريري، وجماعة من ضعفة النحويين. قالوا: من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد، فيقولون: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، إشعاراً بأن السبعة عندهم عدد كامل. واستدلوا بقوله تعالى﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وبقوله تعالى﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ..﴾[4]، وبقوله تعالى﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾، وبقوله تعالى﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا..﴾[5]. قالوا: ألحقت الواو، لأن أبواب الجنة

(١) سورة الحشر الآيات (٢٢، ٢٣، ٢٤).
(٢) سورة التوبة من الآية (١١٢).
(٣) سورة التحريم من الآية (٥).
(٤) سورة الكهف من الآية (٢٢).
(٥) سورة الزمر من الآية (٧٣).

ثمانية، ولما ذكر جهنم قال فتحت بلا واو، لأن أبوابها سبعة.

وذهب المحققون إلى أن الواو في ذلك إما عاطفة، وإما واو الحال. ولم يثبتوا واو الثمانية. وأنكر الفارسي واو الثمانية، لما ذكرها ابن خالويه في باب المناظرة.

ولنذكر ما قيل في هذه الآيات:

ـ أما قوله تعالى﴿وَالنَّاهُونَ﴾ فالواو فيه عاطفة. وحكمة ذكرها في هذه الصفة، دون ما قبلها من الصفات ما بين الأمر والنهي من التضاد، فجيء بالواو رابطة بينهما لتباينهما، وتنافيهما، وقال بعضهم: هي زائدة، وليس بشيء.

ـ وأما قوله تعالى﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ..﴾ فقيل: هي واو العطف، أي: يقولون سبعة، وثامنهم كلبهم. فهما جملتان. وقال الزمخشري: هي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة. قال: وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم، وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كغيرهم. وهو معترض من جهة أن دخول الواو على الصفة لم يقل به أحد من النحويين.

ـ وأما قوله تعالى﴿..وَأَبْكَارًا ﴾ فليس من هذا الباب، لأن الواو فيه عاطفة، ولابد من ذكرها، لأنها بين وصفين لا يجتمعان في محل واحد فلا توصف المرأة بالثيوبة والبكارة في وقت واحد.

ـ وأما قوله تعالى﴿وَفُتِحَتْ..﴾ فقال أبو علي وغيره:هي واو الحال، والمعنى: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت. أي: جاؤوها وهي مفتحة لا يوقفون، وهذا قول المبرد أيضاً، وقيل: إن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها، وأما أبواب الجنة فيتقدم فتحها، بدليل قوله تعالى﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[1] وجواب إذا على هذا القول محذوف تقديره بعد خالدين، أي: نالوا المنى ونحو ذلك حذف للتعظيم، وقيل بعد

(١) سورة ص الآية (٥٠)

أبوابها، أي دخلوها. وقيل: الجواب قال لهم والواو مقحمة. وتقدم قول من جعل فتحت هو الجواب، والواو مقحمة. والله أعلم.(١)

وقال ابن هشام في كتابه القيم مغني اللبيب:"والتاسع واو الثمانية ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعلبي وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا: ستة سبعة وثمانية إيذانا بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها عدد مستأنف واستدلوا على ذلك بآيات ثم ذكر الآيات السابقة(٢).

وقد يؤتى بالواو بين صفات غير متضادة في الظاهر أو الحقيقة مثل قوله تعالى﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾(٣) وقوله تعالى﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ...﴾(٤) فإن هذه الصفات مع أنها ليست متضادة إلا أنها فصل بينها بالواو للعناية بكل صفة من هذه الصفات.

قال الزمخشري: والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها.(٥)

ولم يرتض القول بأهمية كل صفة على حدة الطاهر ابن عاشور حيث قال:

"وعطف الصفات في قوله﴿الصَّابِرِينَ﴾ وما بعده: سواء أكان قوله ﴿الصَّابِرِينَ﴾ صفة ثانية بعد قوله﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ..﴾(٦)، أم كان ابتداء الصفات بعد البيان طريقة ثانية من طريقتي تعداد الصفات في الذكر في كلامهم، فيكون بالعطف وبدونه، مثل تعدد الأخبار والأحوال؛ إذ ليست حروف العطف بمقصورة على تشريك الذوات، وفي

(١) الجني الداني في حروف المعاني(١٦٧، ١٦٩).
(٢) مغني اللبيب(٧٧٣/٢) ط دار السلام ط ثانية ١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م.
(٣) سورة آل عمران الآية (١٧).
(٤) سورة الأحزاب من الآية (٣٥).
(٥) الكشاف(٤١٧/١)
(٦) سورة آل عمران من الآية (١٦).

الكشاف: أنّ في عطف الصفات نكْتة زائدة على ذكرها بدون العطف وهي الإشارة إلى كمال الموصوف في كلّ صفة منها، وأحال تفصيله على ما تقدم له في قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾(١) مع أنّه لم يبيّن هنالك شيئاً من هذا، وسكت الكاتبون عن بيان ذلك هنا وهناك، وكلامه يقتضي أنّ الأصل عنده في تعدّد الصفات والأخبار ترك العطف فلذلك يكون عطفها مؤذناً بمعنى خصوصي، يقصده البليغ، ولعل وجهه أنّ شأن حرف العطف أن يُستغنَى به عن تكرير العامل فيناسب المعمولات، وليس كذلك الصفات، فإذا عُطفت فقد نُزلت كل صفة منزلة ذات مستقلة، وما ذلك إلاّ لقوة الموصوف في تلك الصفة، حتى كأنّ الواحد صار عدداً، كقولهم واحدٌ كألْف، ولا أحسب لهذا الكلام تسليماً. وقد تقدم عطف الصفات عند قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ..﴾ في سورة البقرة(٢).

ولعل ما ذهب إليه الزمخشري هو الأرجح وهو أن الوصل بالواو لبيان الاهتمام بكل صفة من هذه الصفات.

فها أنت ذا ترى الفصل والوصل بين المفردات في القرآن الكريم ولكل مقام ما يناسب السياق إن فصلا وإن وصلا بما يتفق مع الذوق العربي السليم والفطرة النقية، وقد جاء القرآن الكريم بالفصل بين المفردات والوصل بينها حسب المقام وذلك خلافا للبلاغيين الذين اعتبروا أن الفصل والوصل إنما يكون بين الجمل لا بين المفردات وهذا من أوجه القصور عندهم في مبحث الفصل والوصل(٣).

المطلب السادس

الفصل بين الجمل

بعد أن تكلمنا عن العطف بين المفردات وعدمه وقلنا إنه يجوز سرد المفردات بدون حرف العطف، ويجوز سردها معطوفة بعضها على بعض والمقام هو الذي يحدد

(١) سورة البقرة من الآية (٤).
(٢) التحرير والتنوير(١٨٥/٣) ط دار سحنون، تونس بدون تاريخ.
(٣) ينظر الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب للدكتور منير سلطان بتصرف (١٦٧).

العطف وعدمه، وقلنا إن الحديث عن العطف بين المفردات مقدمة للحديث عن العطف بين الجمل، نقول بادئ ذي بدء لماذا وقع الإشكال بالعطف بالواو خاصة دون غيرها من حروف العطف؟

ولا نجد أفضل من العلامة الجرجاني يجيب عن هذا التساؤل فيقول في كتابه الدلائل:

"واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك(يقصد غير الواو من حروف العطف) تفيد مع الإشراك معاني مثل أن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ،(وثم) توجبه مع تراخ، و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحد منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة، فإذا قلت: أعطاني فشكرت، ظهر بالفاء أن الشكر كان معقباً على العطاء ومسبباً عنه، وإذا قلت: خرجت ثم خرج زيد. أفادت(ثم) أن خروجه كان بعد خروجك، وأن مهلة وقعت بينهما، وإذا قلت: يعطيك أو يكسوك، دلت(أو)على أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه، وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعت فيه الثاني الأول، فإذا قلت: جاءني زيد وعمرو، لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد، والجمع بينه وبينه، ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه، وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن معنا في قولنا: زيد قائم وعمرو قاعد، معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه ثبت إشكال المسألة"[١].

فالواو إذن هي التي يعرض فيها الإشكال دون غيرها من حروف العطف لأنها لا تفيد مع العطف شيئا آخر من المعاني كغيرها من أخواتها فلا تفيد سوى التشريك في الحكم الإعرابي.

أما بالنسبة لعطف بعض الجمل على بعض فالجمل على قسمين:

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني(١٧٥).

أحدهما:أن تكون الجملة لها محل من الإعراب وهي سبع جمل:

الجملة الأولى:هي الواقعة خبراً، ومحلُّها من الإعراب الرفع أو النصب بحسب الخبر المفرد الذي وقعت موقعه، مثل: العلمُ يَرْفَعُ مَنزلةَ صاحبه ».

الجملة الثانية:هي الواقعة مفعولاً به، ومحلُّها من الإعراب النصبّ، مثل:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ..﴾[١] فجملة ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ..﴾ في محلّ نصب مفعول به لفعل " قال".

الجملة الثالثة:هي الواقعة موقع المضاف إليه، ومحلّها من الإعراب الجرّ، مثل:﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ..﴾[٢] فجملة ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ في محل جرّ لأنّها في تأويل مفرد هو مضافٌ إليه، والتقدير: يَوْمُ نَفْعِ الصِدْقِ للصادقين.

الجملة الرابعة: هي الواقعة جواباً لشرطٍ جازمٍ، وشرطها أنْ تقترن بالفاء أو بإذا الفجائية، ومحلُّها من الإعراب الجزم، مثل:﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣]،﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٤]. فكل جملة من هاتين الجملتين:﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾،﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ واقعة موقع فعل مجزوم هو جواب الشرط.

الجملة الخامسة: هي الواقعة موقع الصفة، ومحلُّها من الإعراب بحسب الموصوف بها، مرفوعاً كان، أو منصوباً،أو مجروراً، مثل:﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى..﴾[٥]، الزَمْ عالماً يُعَلِّمُ عُلُومَ الدِّينِ الإسْلامي،اعتَصِمْ بِحَبْلٍ يَصِلُكَ بالله". فكل جملة من هذه الجمل الثلاث "يَسْعَى ، يُعَلِّم علوم الدين الإسلامي، يَصِلُكَ بالله" واقعة موقع صفة للاسم النكرة الذي قبلها.

الجملة السادسة:هي الجملة التابعة لجملة لها محلٌ من الإعراب، ومحلُّها من

---

(١) سورة مريم من الآية (٣٠).
(٢) سورة المائدة من الآية (١١٩).
(٣) سورة الرعد من الآية (٣٣).
(٤) سورة الروم من الآية (٣٦).
(٥) سورة القصص من الآية (٢٠).

الإعراب يكون بحسب الجملة التي هي تابعة لها، رفعاً أو نَصْباً أوْ جرّاً، مثل: كُلُّ حيوانٍ يأكُلُ ويَشْرَبُ.

الجملة السابعة: هي الجملة الواقعة موقع الحال، ومحلُّها من الإعراب النصب، كالحال التي جاء لفظها "مفرداً غير جملة" ومؤولة بمفرد، فقول القائل: "وُلِدَ الطفلُ يَبْكي" هو بمثابة قوله: "وُلِدَ الطفلُ بَاكياً".

وكان الأصل في الجملة الحالية أن تكون خالية من الواو، لأنّها كالنعت مع المنعوت به، وأن يكون الربط بين الجملة الحالية وصاحبها ضميراً فيها يعود عليه.

ولكن قد تكون الجملة الحاليّة خاليةً من هذا الضمير الرابط، مثل: "صلّى المتهجّد، الناسُ نَائمون" إذا أُريد أن تكون جملة "الناسُ نائمون" جملةً حاليّة. أو يكون هذا الضمير الرابط صدر الجملة الحالية، مثل: "سافر خالد ، هو صائم" إذا أريد أن تكون جملة "هو صائم" حاليّة. إلاّ أنّ مثل هذين التعبيرين لا دليل فيهما على أنّ جملة كلّ منهما جملة حاليّة، فجاء في اللّغة العربية اختيار حرف "الواو" التي تستعمل في العطف، رابطاً يدلُّ على أنّ الجملة حالية، سواء قلنا بتجريد هذه الواو من معنى العطف، أو قلنا بأنّ معنى العطف ما زال باقياً يجمع الصفة التي دلّتْ عليها الحال مع الصفة المسندة إلى صاحب الحال التي دلّ عليها الْمُسْنَدُ فعلاً كان أو غيره، وقد أُضيف إلى معنى الجمع بين الوصفين معنى الحاليّة ودعت ذَوْقِيَّةٌ جماليَّةٌ وفكريَّةٌ في الجمل الحاليّة أن تجب واو الحال في بعضها، وأن تَمْتَنِعَ في بَعْضِها، وأن يجوز ذكرها وتركها في بعضها.[1]

والثاني من أقسام الجمل: أن تكون الجملة لا محل لها من الإعراب وهي تسع جمل وهي ما يلي:

الأولى ــ الجملة الابتدائية: وهي الّتي تكونُ في بدء الكلام، مثل: ﴿اللَّهُ نُورُ

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمن الميداني(١/٤٤٩).

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾[1] فهي جملة لا محلّ لها من الإعراب ، وهذه الجملة بطبيعتها لا توصل بشيء قبلها، إلاّ أن تُسْبَقَ بكلامٍ مُقَدَّر ذهناً، فقد يكون للمقدّرات الذهنيّة اعتباراتٌ تُلاحظُ في المنطوق من الكلام، كأن يسأل رجلٌ صديقه: هلْ تَعَشَّيْتَ عند فلان؟ فيقول له: وَبِتُّ عِنده حتّى الصباح.

الثانية ــ الجملةُ الاستئنافية: وهي الّتي تقع في أثناء الكلام منقطعةً عمّا قبلَها لاستئناف كلام جديد، وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب، والأصل فيها أن تكون منفصلةً غير مقترنةٍ بحرف عطف، مثل قوله تعالى﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] فجملة:﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ جملة استئنافيّة، وقد تقترن بالفاء الاستئنافيّة، مثل قوله تعالى﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]

الثالثة ــ الجملة التعليليّة: وَهِي الّتِي تَقَعُ في أثناءِ الكلام تَعْليلاً لما قَبْلَها، وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب، والأصل في هذه الجملة أن تكون منفصلة غير مقترنة بحرف عطف، مثل قوله تعالى﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4] فجملة:﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ جملة تعليلية. وقد تقترن بفاء التعليل مثل أن تقول: "الْزَمْ سَبِيلَ الْهُدَى فَإِنَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ".

الرابعة ــ الجملة الاعتراضيّة: وهي التي تعترض بين شيئَيْن متلازِمَيْن:كالمبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه، والفعل ومنصوبه، والشرط وجوابه، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف بها، وحرف الجرّ ومتعلَّقه، والقسم وجوابه وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

(١) سورة النور من الآية (٣٥).
(٢) سورة النحل الآية (٣).
(٣) سورة الأعراف الآية (١٩٠).
(٤) سورة التوبة الآية (١٠٣).

ومن أمثلة الجمل الاعتراضية: قوله تعالى﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1] فجملة ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ جُمْلَةٌ اعتراضيَّةٌ جاءَتْ بين متلازمَيْنِ هُمَا:الشرط وجوابه والواو فيها استئنافيّة. وقوله تعالى﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[2] فجملةُ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ جُملةٌ اعتراضيَّةٌ جاءت بَيْنَ مُتَلازِمَيْنِ هُما:الصفة والموصوف بها.

الخامسة ــ الجملة الواقعة صلةً للموصول: سواء أكان الموصول موصولاً اسمياً أم موصولاً حرفيّاً.

فالموصول الاسمي: كالّذي، والّتي، ومَنْ مثل قوله تعالى﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[3] فجملة﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ صلة لموصول اسمي، لا محلّ لها من الإعراب.

السادسة ــ الجملة التفسيرية: وهي الّتي تأتي مفسِّرَةً لجملةٍ أو مفردٍ قبلها، وتأتي خبريَّةً أو إنشائيّة.

والجملة المفسِّرة لما قبلها، قد تأتي مقرونة بكلمة "أيْ" أو بكلمة "أن" أو مجرَّدَةً منهما، وهي لا محلّ لها من الإعراب.

السابعة ــ الجملة الواقعة جواباً لقسم: مثل قوله تعالى﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[4] فجملة:﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم الوارد في﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ وهي لا محلّ لها من الإعراب.

الثامنة ــ الجملة الواقعة جواباً لشرط غير جازم: وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

(١) سورة البقرة الآيتان (٢٣، ٢٤).
(٢) سورة الواقعة الآيتان(٧٥، ٧٦).
(٣) سورة البقرة الآيات (١، ٢، ٣).
(٤) سورة يس الآيات (١، ٢، ٣).

وأدوات الشرط غير الجازم هي: لو، لَوْلاَ ، لَوْمَا ، أمَّا ، لمَّا – إذَا.

التاسعة ــ الجملة التابعَةُ لجملة لا محلّ لها من الإعراب: فلها حكم الجملة التابعة لها، مثل﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ.وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1] فجملة ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ معطوفة على جملة﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وهي لا محلّ لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.

وحين النظر إلى هذين القسمين نجد الجمل التي لها محل من الإعراب يحسن العطف بينها إذا قصد التشريك بين الجملتين كقولك:مررت برجل خلُقه حسن وخلَقه قبيح، ويزداد العطف حسنا إذا كان في الكلام ما يشبه التضاد كقولك فلان يعطي ويمنع، ويسيء ويحسن ، وكذلك إذا ذكرت شيئين لا يتصور فصل أحدهما عن الآخر مثل قولك: عجبت من فلان أحسن إليه ويسيء إليّ، فأنت لا تعجب من الإحسان إليه وحده، ولا من الإساءة وحدها إنما الذي جعلك تعجب أنك تحسن إليه وهو يسيء إليك، ومن ذلك قوله تعالى﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[2]

أما إذا لم يقصد التشريك بين الجملتين فلم يكن هناك جامع بينهما فإن العطف في هذه الحالة يقبح ولذلك عيب على أبي تمام قوله:

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

وذلك حيث عطف قوله: وأن أبا الحسين كريم ،على قوله:أن النوى صبر، ولا علاقة ولا مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين.

هذا بالنسبة للجمل التي لها محل من الإعراب يحسن عطفها على غيرها إذا قصد التشريك بينها ويكون حكمها حكم المفرد، ويزداد حسن هذا العطف إذا كان ما يشبه التضاد بينهما، أو أريد ذكر شيئين لا ينفرد أحدهما عن صاحبه،أما إذا لم يكن بينهما

(١) سورة النصر الآيات (١، ٢، ٣).
(٢) سورة غافر من الآية (٤١).

تشريك فيقبح العطف.

أما النوع الثاني وهو الجمل التي لا محل لها من الإعراب فهذه هي محل الإشكال، فقد يفصل بينها، وقد يوصل حسب المقام فلها مواضع من حيث الفصل وهو ترك العطف ولها مواضع للوصل وهو العطف بالواو.

وللفصل بين هذا النوع من الجمل ذكر البلاغيون له مواضع وهي:

ـ أول موجبات الفصل كمال الاتصال:

وهو أن يكون بين الجملتين كمال الاتصال وهو أن تكون الثانية متصلة بالأولى اتصالا كاملا تاما فلا تحتاج إلى العطف بالواو لشدة الاتصال بينها وبين سابقتها وهذه الصورة تظهر في ثلاثة وجوه:

١ـ الوجه الأول: أن تكون الجملةُ التالية توكيداً للجملة السابقة، والتوكيد معناه أن تكون الثانية تحمل المعنى الذي دلت عليه السابقة بلفظ جديد لزيادة التقرير، أو لدفع توهُّم المجاز، أو لدفع توهُّمِ الْغَلَط، وهذه الجملةُ

التوكيدية: قد تكون من قبيل التوكيد اللفظيّ مثل قوله تعالى﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1] فجملة

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ توكيد لفظي للجملة السابقة عليها ولذلك فصلها عنها فلم يعطفها عليها بالواو.

وقد تكون من قبيل التوكيد المعنويّ، مثل ما حكي الله عزوجل في سورة يوسف عما قال النسوة حين رأَيْنَ يوسفﷺ في بيت العزيز:﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2] فجملة ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ توكيدٌ معنويٌّ لجملة ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ لأنّ إثبات كونه ملكاً كريماً تأكيدٌ وتحقيقٌ لنفي كونه بشراً.

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى:﴿ مَا هَذَا بَشَرًا

(١) سورة الطارق الآية (١٧).

(٢) سورة يوسف من الآية (٣١).

إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وذلك أن قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مشابك لقوله:﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ ومداخل في ضمنه من ثلاثة أوجه:

وجهان هو فيهما شبيه بالتأكيد، ووجه هو فيه شبيه بالصفة. فأحد وجهي كونه شبيهاً بالتأكيد هو أنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان إثبات كونه ملكاً تحقيقاً لا محالة، وتأكيداً لنفي أن يكون بشراً.

والوجه الثاني: أن الجاري في العرف والعادة أنه إذا قيل: ما هذا بشراً، وما هذا بآدمي والحال حال تعظيم وتعجب مما يشاهد في الإنسان من حسن خلَق أو خلُق أن يكون الغرض والمراد من الكلام أن يقال إنه ملك وأن يكنى به عن ذلك، حتى إنه يكون مفهوم اللفظ. وإذا كان مفهوماً من اللفظ قبل أن يذكر كان ذكره إذا ذكر تأكيداً لا محالة، لأن حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك. أفلا ترى أنه إنما كان كلهم في قولك: جاءني القوم كلهم تأكيداً من حيث كان الذي فهم منه وهو الشمول قد فهم بدئاً من ظاهر لفظ القوم. ولو أنه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم، ولا كان هو من موجبه لم يكن كل تأكيداً، ولكان الشمول مستفاداً من كل ابتداء.

وأما الوجه الثالث: الذي هو فيه شبيه بالصفة فهو أنه إذا نفي أن يكون بشراً فقد أثبت له جنسَ سواه، إذ من المحال أن يخرج من جنس البشر، ثم لا يدخل في جنس آخر، وإذا كان الأمر كذلك كان إثباته ملكاً تبييناً وتعييناً لذلك الجنس الذي أريد إدخاله فيه، وإغناء عن أن تحتاج إلى أن تسأل فتقول: فإن لم يكن بشراً، فما هو؟ وما جنسه؟ كما أنك إذا قلت: مررت بزيد الظريف كان الظريف تبييناً وتعييناً للذي أردت من بين من له هذا الاسم، وكنت قد أغنيت المخاطب عن الحاجة إلى أن يقول: أي الزيدين أردت؟[1]

ومن الأمثلة التي يكون الفصل فيها للتوكيد كذلك قوله تعالى﴿الم.ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني(١٧٩).

فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]

قال الزمخشرى: والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحاً ، وأن يقال إن قوله: ﴿الم﴾جملة برأسها،أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة ثانية، و﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ ثالثة ، و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة.

بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدّى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدّاً من أعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة، وقيل لبعض العلماء: فيم لذتك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحاً، وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرّر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري، من نكتة ذات جزالة.

ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه.

وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة.

وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف.

وفي الرابعة الحذف، ووضع المصدر الذي هو ﴿هُدًى﴾ موضع الوصف الذي هو (هاد) وإيراده منكراً. والإيجاز في ذكر المتقين[٢].

وقال أبو حيان:

(١) سورة البقرة الآيتان(١، ٢)

(٢) الكشاف للزمخشري(١/١٢١، ١٢٢، ١٢٣)

والأولى: جعل كل جملة مستقلة، فذلك الكتاب جملة، ولا ريب جملة، وفيه هدى للمتقين جملة، ولم يحتج إلى حرف عطف لأن بعضها آخذ بعنق بعض، فالأولى أخبرت بأن المشار إليه هو الكتاب الكامل، كما تقول: زيد الرجل،أي الكامل في الأوصاف، والثانية نعت لا يكون شيء ما من ريب، والثالثة أخبرت أن فيه الهدى للمتقين[١]

فنجد أن الجمل وردت بدون عطف وهذا هو المناسب للبلاغة حيث جاءت كل واحدة منها مؤكدة لما قبلها. فقوله﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾، بيان وتوكيد وتحقيق لقوله:﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول:هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبته. وليس تثبيت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطفه عليه.

ومن الأمثلة على كمال الاتصال للتوكيد أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٢] فإن قوله: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ جاء تأكيدا لقوله سبحانه﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لأن معني هذه الجملة:إنذارك وعدمه سواء فجاءت الجملة الثانية مؤكدة هذا المعنى مع زيادة تقرير له وهو أنهم لا يؤمنون، ولذلك لم تعطف عليها بالواو فلم يقل:ولا يؤمنون لأنها مؤكدة للسابقة.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣]

فقد فصل قوله﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ عن سابقه فلم يقل:ويخادعون فإنها جاءت تأكيدا للجملة الأولى؛ لأن معنى الجملة الأولى أنهم يدّعون الإيمان بألسنتهم وهم في الحقيقة ليسوا كذلك فجاءت الجملة الثانية ﴿يُخَادِعُونَ﴾ تأكيدا لهذا المعنى، ولكن فيها زيادة تقرير له وهو أنهم يقصدون بقولهم هذا خداع الله والمؤمنين، فهذه المخادعة ليست

(١) البحر المحيط لأبي حيان(١/٦٤) ط دار الفكر بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

(٢) سورة البقرة الآية (٦)

(٣) سورة البقرة الآيتان (٨، ٩)

شيئاً غير قولهم: آمنا من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذاً كلام أكد به كلام آخر هو في معناه، وليس شيئاً سواه، واعتبر الزمخشرى هذا من البيان،أو الاستئناف حيث قال: و﴿يخادعون﴾ بيان ليقول، ويجوز أن يكون مستأنفاً كأنه قيل: ولم يدعون الإيمان كاذبين وما موقفهم في ذلك؟ فقيل يخادعون.(١)

ومن الأمثلة على التأكيد أيضا قوله تعالى﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(٢)

ففصل قوله﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾عن سابقه فلم يقل:وإنما نحن مستهزئون؛لأنها ليست إلا تأكيدا لما قبلها، فإن قولهم﴿آمَنَّا﴾ للمؤمنين، وقولهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لشياطينهم لا يعدو أن يكون نوعا من الاستهزاء فجاءت الثانية مؤكدة للأولى.

قال الجرجاني: "وذلك لأن معنى قولهم:﴿ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أنا لم نؤمن بالنبي ﷺ، ولم نترك اليهودية، وقولهم:﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، خبر بهذا المعنى بعينه،لأنه لا فرق بين أن يقولوا: إنا لم نقل ما قلناه من أنا آمنا إلا استهزاء، وبين أن يقولوا: إنا لم نخرج من دينكم، وإنا معكم. بل هما في حكم الشيء الواحد، فصار كأنهم قالوا: إنا معكم لم نفارقكم، فكما لا يكون" إنا لم نفارقكم" شيئاً غير" إنا معكم" كذلك لا يكون" إنما نحن مستهزئون" غيره فاعرفه.(٣)

ومن الواضح البين في هذا المعنى قوله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٤) لم يأت معطوفاً، نحو: وكأن في أذنيه وقراً؛لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلا أن الثاني أبلغ وآكد في الذي أريد، وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه، ويكون لها

(١) الكشاف(١/١٧٣).
(٢) سورة البقرة الآية (١٤)
(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني(١٧٨)
(٤) سورة لقمان الآية (٧).

تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تليت عليه كحاله إذا لم تتل، ولا شبهة في أن التشبيه بمن في أذنيه وقر أبلغ وآكد في جعله كذلك، من حيث كان من لا يصح منه السمع وإن أراد ذلك أبعد من أن يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة من الذي يصح منه السمع، إلا أنه لا يسمع إما اتفاقاً وإما قصداً إلى أن لا يسمع فاعرفه، وأحسن تدبره.(١)

ــ ومن أمثلة ذلك وهو مما يلفت انتباه القارئ فإنك تجد الآيتين متشابهتين في اللفظ لكن فصل في أحدهما ووصل في الآخر لأن المقام يختلف في كل منهما قوله تعالى في سورة الأعراف﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢)، وقوله في سورة البقرة ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣) فقوله ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ فصلت الجملة عن سابقتها لأنها تأكيد لها، فإنهم ما داموا لا يستفيدون من هذه الجوارح التي أنعم الله بها عليهم وهي القلوب والأعين والآذان فليس معنى هذا إلا أنهم كالأنعام فالفصل هنا لكمال الاتصال بين الجملتين،بخلاف الآية الأخرى في سورة البقرة حيث وصل الجملتين لأن الجملتين مختلفتان فهم على هدى من ربهم وهو جزاء خاص، وفي هذا تصحيح لمسيرتهم ، وهم مفلحون ثانيا وفي هذا تحقيق للغاية والنتيجة الطيبة التي حصلوا عليها،أما الآية الأولى فالجملة الثانية لا تختلف عن الأولى فهي تأكيد لها لأن كونهم كالأنعام لا معنى له إلا أنهم غافلون، ولو أن الجملة وصلت بما قبلها فقيل: وأولئك هم الغافلون لأدي ذلك إلى معنى غير صحيح وهو أن الأنعام ليست في غفلة(٤).

وذكر الألوسي أن الفصل للتأكيد ثم ذكر أن البعض اعتبر الفصل هنا للبيان حيث

(١) دلائل الإعجاز(١٧٨، ١٧٩)
(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٩).
(٣) سورة البقرة الآية (٥).
(٤) البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)(٤٤٤).

قال:وجعل بعضهم هذه الجملة كالبيان للجملة قبلها فلذا فصلت عنها[١].

وقال الطاهر ابن عاشور في الآية الثانية وهي آية سورة البقرة: ووجه العطف بالواو دون الفَصْلِ أن بين الجملتين توسطاً بين كمالي الاتصال والانقطاع لأنك إن نظرت إلى اختلاف مفهومهما وزمن حصولهما فإن مفهوم إحداهما وهو الهدى حاصل في الدنيا ومفهوم الأخرى وهو الفلاح حاصل في الآخرة كانتا منقطعتين.

وإن نظرت إلى تسبب مفهوم إحداهما عن مفهوم الأخرى، وكون كل منهما مقصوداً بالوصف كانتا متصلتين، فكان التعارض بين كمالي الاتصال والانقطاع منزلاً إياهما منزلة المتوسطين، كذا قرر شراح الكشاف ومعلوم أن حالة التوسط تقتضي العطف كما تقرر في علم المعاني، وتعليله عندي أنه لما تعارض المقتضيان تعين العطف لأنه الأصل في ذكر الجمل بعضها بعد بعض[٢].

وقال الزركشي في البرهان: فإن قلت:لم سقط العطف من قوله﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾،ولم يسقط من ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قلت:لأن الغفلة شأن الأنعام، فالجملة الثانية كأنها الجملة الأولى[٣].

فها أنت ذا ترى الفرق بين الآيتين لا أنه فصل في إحداهما، ووصل في الأخرى اعتباطا بدون داع أو سبب.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الشعراء﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٤] حيث فصل الجملتين هنا، بخلاف قوله تعالى﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ.وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٥] فوصل الثانية بالأولى والذي ينظر لأول وهلة يجد تشابها تاما بين

(١) روح المعاني(١٧٦/٦).
(٢) التحرير والتنوير(٢٤٦/١)
(٣) البرهان في علوم القرآن(١٢٥/٤).
(٤) سورة الشعراء الآيتان(١٥٣، ١٥٤)
(٥) سورة الشعراء الآيتان (١٨٥، ١٨٦)

الآيتين ولكن فصلت إحدى الجملتين عن الأخرى في موضع ، ووصلت إحداهما بالأخرى في الموضع الثاني؛ وذلك لأن معنى المسحّر في الآية الأولى هو الذي له رئة يأكل ويشرب، ويقولون ما نراك إلا ذا رئة تأكل وتشرب، وهذا وصف له بالبشرية، لهذا جاء عقبه ﴿مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا..﴾ فإن هذه الجملة جاءت تأكيدا لما قبلها ، وأما الآية الثانية فمعنى كلمة مسحر أي بشر وهو يختلف معناه عن معنى الجملة التي بعدها لذا وصلت الثانية بالأولى لأن لكل منهما معنى[١].

قال البيضاوي:أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافين للرسالة مبالغة في تكذيبه.[٢]

وقال الزمخشري: فإن قلت:هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود؟ قلت: إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان: كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم.[٣]

وقال العلامة الألوسي: الكلام فيه نظير ما تقدم في قصة ثمود بيد أنه أدخل الواو بين الجملتين هنا للدلالة على أن كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة فيكف إذا اجتمعا وأرادوا بذلك المبالغة في التكذيب، ولم تدخل هناك حيث لم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم كذا في الكشاف، وفي الكشف أن فيه ما يلوح إلى اختصاص كل بموضعه وإن الكلام هنالك في كونه مثلهم غير ممتاز بما يوجب الفضيلة ولهذا عقبوه بقولهم﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ فدل على أنهم لم يجعلوا البشرية منافية للنبوة وإنما جعلوا الوصف تمهيداً للاشتراك وأنه أبدع في دعواه، وههنا ساقوا ذلك مساق ما ينافي النبوة فجعلوا كل واحد صفة مستقلة في المنافاة ليكون أبلغ ، وجعلوا إنكار النبوة أمراً مفروغاً ولذا عقبوه بقولهم﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ..﴾، وقال النيسابوري في وجه

(١) البلاغة فنونها وأفنانها (٤٤٤).
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى(٢٥٢/٤) ط دار الفكر بيروت لبنان،١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م.
(٣) الكشاف(١٢٧/٣).

الاختصاص إن صالحاً ﷺ قال في الخطاب فقللوا في الجواب، وأكثر شعيبﷺ في الخطاب ولهذا قيل له: خطيب الأنبياء فأكثروا في الجواب، ولعله أراد أن شعيباً ﷺ بالغ في زجرهم فبالغوا في تكذيبه ولا كذلك صالح ﷺ مع قومه فتأمل.(١)

والأمثلة على التأكيد كثيرة في القرآن الكريم ويكون الفصل فيها لكمال الاتصال بين الجملتين.

٢ــ من كمال الاتصال أن تكون الثانية بدلا من الجملة الأولى:

فتفصل الجملة الثانية عن الجملة الأولى لكونها أدل على المقصود، وأوفى بالمطلوب من جهة، وللعناية بشأنها من جهة أخرى، وهذا يكون في بدل البعض من كل، أو في بدل الاشتمال.

ففي بدل البعض من كل وهو ما يكون المبدل جزءً من المبدل منه، ومثاله قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ.أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾(٢)

فقوله ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾جملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول عقبها بجملة ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾ بدون عطف لأنها بدل بعض من كل، فالأنعام والبنين من جملة ما يعلمون، فساقها بدون عطف لكمال الاتصال بينها وبين سابقتها للعناية بشأنها، ولكونها أدل على المقصود، وألزم للحجة، وأوفى بالغرض المقصود من الآية.

قال الطاهر ابن عاشور: وقد جاء في ذكر النعمة بالإجمال الذي يهيئ السامعين لتلقّي ما يرد بعده فقال: ﴿الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم فُصّل بقوله:﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾،وأعيد فعل﴿أَمَدَّكُمْ ﴾ في جملة التفصيل لزيادة الاهتمام بذلك الإمداد فهو للتوكيد اللفظي، وهذه الجملة بمنزلة بدل البعض من جملة

﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فإن فعل﴿أَمَدَّكُمْ ﴾ الثاني وإن كان مساوياً لـ﴿أَمَدَّكُمْ ﴾ الأول فإنما صار بدلاً منه باعتبار ما تعلق به من قوله:﴿بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾الذي هو بعض ممّا

(١) روح المعاني(١١/١٧٩).
(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٣٢، ١٣٣).

تعلمون، وكلا الاعتبارين التوكيد والبدل يقتضي الفصل، فلأجله لم تعطف الجملة.(١)

ومن كمال الاتصال للبدل قوله تعالى﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ..﴾(٢)لأن تفصيل الآيات جزء من تدبير الأمر فهو بدل بعض من كل ولذلك فصل بينهما لكمال الاتصال بينهما.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٣) فتذبيح الأبناء جزء من سومهم العذاب، وهو أدل على المقصود من الامتنان بالنعمة،بخلاف ما جاء في سورة إبراهيم حيث جاءت موصولة بالواو حيث إن الكلام كان على لسان موسىﷺ قال تعالى﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٤) فوصل جملة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ بما قبلها بالواو ليدل على أن كلا من السوم والتذبيح أمر مستقل بنفسه، وهو المناسب للمقام لذكر النعمة التي ذكّرهم بها موسىﷺ ، لكن ما جاء في سورة البقرة إنما جاءت الجملة الثانية﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ بدلا من قوله ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الجملة الثانية بيان للأولى، وليست بدلا

قال الزمخشري: و﴿ يُذَبِّحُونَ﴾ بيان لقوله﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ولذلك ترك العاطف(٥).

وذهب الطاهر ابن عاشور إلى القولين فقال: وجملة ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ..﴾ إلخ بيان لجملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فيكون المراد من سوء العذاب هنا خصوص التذبيح وما عطف عليه وهو﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ لما عرفت فكلاهما بيان لسوء العذاب فكان

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٩/١٧٠).
(٢) سورة الرعد من الآية (٢)
(٣) سورة البقرة الآية (٤٩).
(٤) سورة إبراهيم الآية (٦).
(٥) الكشاف(١/٢٧٩).

غير ذلك من العذاب لا يعتد به تجاه هذا، ولك أن تجعل الجملة في موضع بدل البعض تخصيصاً لأعظم أحوال سوء العذاب بالذكر وهذا هو الذي يطابق آية سورة إبراهيم التي ذكر فيها ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ بالعطف على ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وليس قوله : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ مستأنفاً لإتمام تفصيل صنيع فرعون بل هو من جملة البيان أو البدل للعذاب ويدل لذلك قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١] فعقب الفعلين بقوله﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

وقال الكرماني: قوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ بغير واو هنا على البدل من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، وفي الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، وفي إبراهيم ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ بالواو؛ لأن ما في هذه السورة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن عليهم، والذي في إبراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك في قوله ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ..﴾[٣][٤]

ــ أما بدل الاشتمال وهو ما كان المبدل منه ليس داخلا في مفهوم البدل فقد مثل له بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٥] .

فقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ بدل من قوله ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، ومع ذلك فصل عنه فلم يقل: واتبعوا من لا يسألكم فذكرت هذه الجملة البدلية مفصولة لأنها أوفى بالغرض حيث تحمل الترغيب في الاتباع وهو عدم سؤال المرسلين أحدا أجرا على تبليغهم الرسالة.

٣ــ من صور كمال الاتصال أن تكون الثانية عطف بيان للأولى:

(١) سورة القصص من الآية (٤)
(٢) التحرير والتنوير(١/٤٩٣).
(٣) سورة إبراهيم من الآية (٥).
(٤) أسرار التكرار لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني(٧٢) ط دار الفضيلة ، بدون تاريخ.
(٥) سورة يس الآيتان(٢٠، ٢١)

عطف البيان:هو التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر[١]، والبدل:هو التابع المقصود بالنسبة بلا واسطة.[٢]

وبين البدل وعطف البيان تشابه كبير حتى قال النحويون: كل ما جاز أن يكون عطف بيان، جاز أن يكون بدلا نحو: ضربت أبا عبد الله زيدا، واستثنى المصنف من ذلك مسألتين، يتعين فيهما كون التابع عطف بيان:

الأولى: أن يكون التابع مفردا، معرفة، معربا، والمتبوع منادى، نحو: يا غلام يعمرا فيتعين أن يكون يعمرا عطف بيان، ولا يجوز أن يكون بدلا، لأن البدل على نية تكرار العامل، فكان يجب بناء يعمرا على الضم، لأنه لو لفظ بـــ " يا " معه لكان كذلك.

الثانية: أن يكون التابع خاليا من " أل " والمتبوع بأل، وقد أضيفت إليه صفة بأل، نحو:أنا الضارب الرجل زيد، فيتعين كون زيد عطف بيان، ولا يجوز كونه بدلا من الرجل، لأن البدل على نية تكرار العامل، فيلزم أن يكون التقدير: أنا الضارب زيد، وهو لا يجوز، لما عرفت في باب الإضافة من أن الصفة إذا كانت بأل لا تضاف إلا إلى ما فيه أل، أو ما أضيف إلى ما فيه أل، مثل: أنا الضارب الرجل زيد.[٣]

وهذا جعل كثيرا من البلاغين في بعض الأحيان يعتبرون الفصل بين الجملتين لكون الثانية بدلا من الأولى في حين يعتبره غيرهم لكونها عطف بيان.

ومثال ما يكون الفصل فيه لعطف البيان قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾[٤]

فقد فصل قوله ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ فلم يقل: وقال بالعطف لأنها عطف بيان لما قبلها وهو قوله﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ فهي بيان للوسوسة وتوضيحها وأنها كانت قولا،

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك(٣/١٦٩) ط مكتبة دار التراث ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.
(٢) المرجع السابق(٣/١٩١)
(٣) المرجع السابق(٣/١٧١، ١٧٢).
(٤) سورة طه الآية (١٢٠).

فالمقصود هي الوسوسة التي كانت من إبليس.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1] فجملة﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ والتي بعدها عطف بيان لجملة﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

وعن كمال الاتصال يقول الجرجاني:

" واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد، كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها، ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد، فإذا قلت: جاءني زيد الظريف، وجاءني القوم كلهم لم يكن الظريف وكلهم غير زيد وغير القوم".[2]

ويقول السكاكي:" أن الجملة متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف عليها كما إذا أريد بها القطع عما قبلها، أو أريد بها البدل عن سابقة عليها لم تكن موضعا لدخول الواو، وكذا متى نزلت من الأولى منزلة نفسها لكمال اتصالها بها مثل ما إذا كانت موضحة لها ومبينة، أو مؤكدة لها ومقررة لم تكن موضعا لدخول الواو[3]."

ثاني موجبات الفصل: شبه كمال الاتصال:

ومعناه أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال فهم من الجملة الأولى وهذا هو الأكثر ومن الأمثلة على ذلك:

(١) سورة الأعراف الآية (١٤١).
(٢) دلائل الإعجاز(١٧٧)
(٣) مفتاح العلوم للسكاكي(٤٦٣)

قوله تعالى﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] فإن قوله ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ إنما جاءت جوابا عن سؤال فهم من قوله﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ كأنه قيل: ولم لا تبرئ نفسك؟ فجاء الجواب:إن النفس لأمارة بالسوء، ولما كان بينهما شبه كمال الاتصال وهو الجواب عن السؤال فصل بينهما ولم يعطف بالواو فلم يقل: وإن النفس..

ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [2] فقوله﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا...﴾ فصل عن ما قبله لشبه كمال الاتصال بينهما لأنها وقعت جوابا عن سؤال مقدر فكأنه لما قال﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ كأن سائلا قال: وماذا قال الأولون؟ فجاءت الثانية جوابا عنها.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ.إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[3] فقوله ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ وقعت جوابا لسؤال مقدر كأنه قال: وماذا قال إبراهيم ؟ فكان الجواب: قال سلام ولشبه كمال الاتصال بين السؤال والجواب فصل بينهما.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ.قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ.قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ.قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4] فالآيات مشتملة على عدة جمل فصلت عن بعضها لأنها أجوبة عن أسئلة مقدرة مفهومة من الكلام.إذ تقدير الكلام بعد الآية الأولى:وماذا قال موسى؟،وبعد الآية الثانية وماذا قال فرعون؟ وهكذا

(١) سورة يوسف الآية (٥٣).
(٢) سورة المؤمنون الآيتان (٨١، ٨٢).
(٣) سورة الذاريات الآيتان(٢٤، ٢٥).
(٤) سورة الشعراء الآيات (٢٣، ٣١).

في بقية الآيات.

والاستئناف الذي يتكلم عنه البلاغيون هو الاستئناف البياني وهو ما كانت الجملة الثانية فيه جوابا لسؤال مقدر مفهوم من الجملة الأولى،أما الاستئناف النحوي فهو كل كلام منقطع عن غيره أو كل كلام مبتدأ به، وتأتي الجملة الاستئنافية مقترنة بالواو وغير مقترنة بها وهي من الجمل التي لا محل لها من الإعراب كما سبق بيانه.

والاستئناف يحصل بإعادة الاسم المتحدث عنه، أو بإعادة صفته أو بالإشارة إليه، فمثال الأول:أن تقول مثلا أحسن إلى زيد، زيد الذي خلُقه حسنٌ.

ومثال الثاني:قوله تعالى﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] فقوله(أولئك)الأولى إشارة إلى المتصفين بالصفات السابقة ولذلك فصلت عن سابقتها لأن ما قبلها اشتمل على سؤال مقدر كأن سائلا سأل: ماذا أعد الله للمؤمنين بالغيب، والمقيمين الصلاة ، والمؤتين الزكاة...؟ فجاء الجواب:أولئك على هدى..

قال الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية:فقوله ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات الثناء عليهم ترقب فائدة تلك الأوصاف، واسم الإشارة هنا حل محل ذكر ضمير(هم) والإشارة أحسن منه وقعاً لأنها تتضمن جميع أوصافهم المتقدمة فقد حققه التفتازانى في باب الفصل والوصل من الشرح المطول أن الاستئناف بذكر اسم الإشارة أبلغ من الاستئناف الذي يكون بإعادة اسم المستأنف عنه، وهذا التقدير أظهر معنى وأنسب بلاغة وأسعد باستعمال اسم الإشارة في مثل هاته المواقع، لأنه أظهر في كون الإشارة لقصد التنويه بتلك الصفات المشار إليها وبما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم الناشئ عنها، وهذا لا يحصل إلا بجعل اسم الإشارة مبتدأ أول صدر جملة استئناف.[2]

وقد يُحْذَفُ صَدْرُ جواب السؤال المقدّر الذي أثارته الجملة السابقة، ويُستَغْنَى عَنْه

(١) سورة البقرة الآية (٥).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور(٢٤٢/١)

بما جاء بعده ممّا يدلُّ عليه، ومنه قوله تعالى﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ.رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1] كَمَا جَاءَ في قراءة ابن عامر الشامي وشعبة (يُسَبَّحُ) بالبناء للمجهول، وقراءة جمهور القرّاء العشرة (يُسَبِّحُ)[2] بكسر الباء المشددة وَلَيْسَ فيها شاهِدٌ لمَا نَحْنُ فيه، أمّا قراءة ابن عامر وشعبة (يُسَبَّحُ) بفتح الباء بالبناء لما لم يُسَمَّ فَاعِلُهُ فهي التي تتضمّن الشاهِدَ المطلوب.

فإنّ جملة ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ جملة تامَّةٌ تثير سؤالاً وهو: مَنِ الذي يُسَبِّحُ لله فيها؟

والجوابُ: يُسَبِّحُ فيها رَجَالٌ... فَحُذِفَ صَدْر الجواب وهو فِعْلٌ (يسبح) واستغني عنه بذكر فاعله "رجالٌ".[3]

ثالث موجبات الفصل: أَنْ يكونَ بَيْنَ الجملتَيْن كَمَالُ الانقطاع.

وهذا يكون حينما يكون بين الجملتين تبايُنٌ تَامّ، فيجب فصل الجملة التالية عن الجملة السابقة، وعدَمُ وصلها بالواو العاطفة، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى إيهام غير المقصود.

ويحصل كمال الانقطاع في حالتين:

الأولى:أن تختلف الجملتان السابقة والتالية خبراً وإنشاءً في لفظيهما وفي دلالتيهما:

مثل قوله تعالى﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا

(١) سورة النور الآيتان (٣٦، ٣٧).

(٢) سراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهي للإمام أبي القاسم على بن عثمان القاصح العذري البغدادي(١٦١) ط دار الفكر ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.

(٣)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها(٤٦٣/١)

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[١]

فالجملة السابقة﴿وَأَقْسِطُوا﴾إنشائية، مصدّرة بفعل أمر، والجملة التالية﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾خبريّة في لفظها وفي معناها، وظاهر أنّ بين هاتين الجملتين "كمالَ انقطاع" فوجب فصلهما.

ومثاله أيضا قوله تعالى﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾[٢] فجملة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ جملة إنشائية ، وجملة﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ جملة خبرية ففصلت عن الجملة الأولى فلم يقل:وترهبون.. لكمال الانقطاع بينهما.

وقضية عطف الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية والعكس منعه البلاغيون، وخالف فيه بعض النحويين كابن خروف، والصفار وابن عمرو وقالوا:يعطف الأمر على الخبر، والنهي على الأمر والخبر قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣] فعطف خبرا على جملة الشرط، وجملة الشرط على الأمر.

فجوزوا عطف الخبرية على الإنشائية، وعدّد الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة اثني عشر موضعا في القرآن الكريم عطفت فيها الخبرية على الإنشائية والعكس ومن ذلك قوله تعالى﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ..﴾[٤] وغيرها من الآيات[٥]

أما علماء البلاغة فقد تأولوا النصوص القرآنية التي ظاهرها عطف الخبر على الإنشاء فيما لا محل له على تأويلات تسلم به قاعدة الفصل بأن يكون من عطف

(١) سورة الحجرات الآية (٩).
(٢) سورة الأنفال من الآية (٦٠).
(٣) سورة المائدة الآية (٦٧).
(٤) سورة الأنعام من الآية (١٢١)
(٥) دراسات لأسلوب القرآن د/ محمد عبد الخالق عضيمة (٥٣٧/٣، ٥٤٠) ط دار الحديث بدون تاريخ.

مضمون جملة أو مضمون كلام على آخر،أو من عطف القصة على القصة وهو رأي الزمخشري، أو العطف على مقدر دلّ عليه السياق.

ويسمى هذا عند الأصوليين دلالة الاقتضاء أي إن صحة الكلام اقتضت هذا المقدر ومنه ما يتوقف عليه تمام البلاغة لتجري على القواعد العربية كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالى﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[١]

" فإن قلت: علام عطف﴿وَاهْجُرْنِي﴾ ؟ قلت:على معطوف عليه محذوف يدل عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: فاحذرني واهجرني،لأن﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ تهديد وتقريع.[٢]

وقال في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾[٣] فإن قلت:علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه؛ إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق، وبشرْ عمراً بالعفو والإطلاق، ولك أن تقول: هو معطوف على قوله: (فاتقوا) كما تقول: يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم.[٤]

وقال أيضا في قوله تعالى في سورة الصف﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]

فإن قلت: علام عطف قوله﴿وَبَشِّرِ المؤمنين﴾ ؟ قلت:على﴿ تُؤْمِنُونَ﴾ لأنه في معنى الأمر، كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشر يا رسول الله

(١) سورة مريم من الآية (٤٦)
(٢) الكشاف(٥١١/٢)
(٣) سورة البقرة من الآية (٢٥)
(٤)الكشاف(٢٥٣/١، ٢٥٤)
(٥) سورة الصف الآية (١٣)

المؤمنين بذلك.[١]

والذي اختاره السكاكي في هاتين الآيتين أن العطف فيهما على قُل مرادا مقدرا قبل (يا أيها الناس) و (يا أيها الذين آمنوا) قال لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه كثير وذكر منه قوله تعالى﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ أي: قلنا أو قائلين ونحو ذلك.

قال السكاكي:" وأما قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد قوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فيعد معطوفا على﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾، وعندي أنه معطوف على قل مرادا قبل﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لكون إرادة القول بواسطة انصباب الكلام على معناه غير عزيزة في القرآن، من ذلك﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ أي: وقلنا أو قائلين كلوا، ومن ذلك ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾[٢]أي: وقلنا يا موسى كلوا واشربوا، ومن ذلك﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾[٣] أي: وقلنا أو قائلين خذوا، ومن ذلك﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا﴾[٤] أي: وقلنا اتخذوا، ومن ذلك﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا ﴾[٥]أي: يقولان ربنا وعليه قراءة عبد الله، ومن ذلك﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ ﴾[٦]على قول أصحابنا البصريين، ومن ذلك﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا..﴾[٧] أي: ويقولون ذوقوا، ومن ذلك﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ

(١)الكشاف(٤/١٠١٠).
(٢) سورة البقرة من الآية (٦٠).
(٣) سورة البقرة من الآية (٦٣).
(٤) سورة البقرة من الآية (١٢٥).
(٥) سورة البقرة من الآية (١٢٧).
(٦) سورة البقرة من الآية (١٣٢).
(٧) سورة الأنفال من الآية (٥٠).

وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا﴾[١]أي: فقولوا لهم سيحوا ، وأمثال ذلك أكثر من أن أحصيها ههنا وكذلك عطف قوله﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾[٢] على قل مرادا قبل﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[٣] وكذا عطف﴿وَبَشِّرِ المؤمنين﴾ في سورة الصف عندي على قل مرادا قبل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾[٤]، وذهب صاحب الكشاف إلى أنه معطوف على تؤمنون قبله لكونه في معنى آمنوا فتأمل جميع ذلك وكن الحاكم دوني[٥].

وفي هذا الذي قاله السكاكي نظر لأنه لا يلزم من إضمار القول موضع الحال تقديره أمرا أول الكلام من غير دليل يدل عليه.

والثانية:أن تتفق الجملتان في الخبرية أو الإنشائية ولا يكون بينهما جامع ولا رابط:

ومن الأمثلة على المتفقتين في الخبرية قول الشاعر:

إنَّما الْمَرْءُ بأصغَرَيْهِ كُلُّ امرئ رَهْنٌ بما لَدَيْه

فلا علاقة بين الجملتين وإن كانتا متفقتين في الخبرية في أن كلا منهما عبارة عن خبر يحتمل الصدق والكذب، ومثل أن تُعَدّدَ حِكَماً في موضوعات مختلفات لا ترابط بينها، كأنْ تقول: "رَأسُ الحكمة مَخَافَةُ الله ، لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرّتين، ارْضَ بما قَسَمَ اللهُ لَكَ تكُنْ أغْنَى الناس، كفَى بالموتِ واعظاً".

ومثال الإنشائيتين أن تقول مثلا:احترس من عدوك ، كلْ مما يليك. فلا علاقة بين الجملتين ولذلك فصل بينهما.

رابع موجبات الفصل: شبه كمال الانقطاع:

(١) سورة التوبة من الآيتين(١، ٢)
(٢) سورة البقرة من الآيتين(١٥٥، ١٥٦).
(٣) سورة البقرة من الآية (١٥٣).
(٤) سورة الصف من الآية (١٠).
(٥) مفتاح العلوم للسكاكي (٤٧٢، ٤٧٣).

ذكر البلاغيون من موجبات الفصل بين الجملتين أن يكون بينهما شبه كمال انقطاع وهو أن تكون جملة مسبوقة بجملتين يجوز عطفها على الأولى منهما ولا يجوز عطفها على الثانية فيترك العطف حتى لا يتوهم عطفها على الجملة القريبة منها كقول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم[1]

ففي البيت ثلاث جمل: تظن سلمى، وأنني أبغي بها بدلا، أراها في الضلال تهيم،

تقدمت الجملة الثالثة جملتان يصح عطفها على الجملة الأولى منهما، ولا يصح عطفها على الجملة الثانية لأنه يوهم خلاف المقصود فيترك العطف هنا ، فهنا لا يجوز عطف الجملة الثالثة وهي قوله" أراها في الضلال تهيم"على الثانية وهي قوله" أبغي بها بدلا"؛ لأن المعنى لا يستقيم بهذا العطف حيث يؤول إلى أن سلمى تظن به أمرين اثنين:هما أنه يبغي بها بدلا، والثاني أنه يراها في الضلال تهيم، فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى وهذا لا يقصده الشاعر، ومن ثَمّ فصل الجملة الثالثة عن الجملة الثانية والجملة الأولى لشبه كمال الانقطاع بينهما.

هذا ما ذكره البلاغيون في هذا الموطن من مواطن الفصل، لكن عقب الدكتور فضل حسن عباس على هذا الوجه بأن هذا السبب لم يذكره عبد القاهر الجرجاني وإنما ذكره المتأخرون عنه، وذكر علة ذكرهم له بأنهم أرادوا المحافظة على القسمة العقلية وهي أنهم لما ذكروا من مواطن الفصل كمال الاتصال، وكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال، جاءوا بهذا الوجه وهو شبه كمال الانقطاع لتكتمل القسمة العقلية، ثم عقب بأن البلاغة ينبغي أن لا تخضع لتلك القسمة العقلية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنهم لم يذكروا على هذا النوع إلا مثالا واحدا وهو قول الشاعر، ومن ناحية ثالثة أن هذا المثال منقوض ومردود بما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى

(١) البيت من بحر الكامل وهو في الإيضاح (١٥٤/١) بلا عزو، وفي معاهد التنصيص(٢٧٩/١) قال:لا أعرف قائله.

حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]

ففي هذه الآية ثلاث جمل﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾، والثانية ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا..﴾، والثالثة﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ والشاهد في الجملة الثالثة إذ لا يصح عطفها على الجملة الثانية ، ولكن يجوز عطفها على الجملة الأولى وهو عطف في غاية الحسن إذ يصير المعنى: وابتلوا اليتامى ولا تأكلوا أموالهم، وعلى القاعدة التي ذكرها المتأخرون وهي:أنها إذا جاءت جملة مسبوقة بجملتين، وجاز عطفها على إحداهما ولم يجز عطفها على الأخرى امتنع مجيء الواو، فكان على مقتضى هذه القاعدة أن تجيء الجملة الثالثة بدون العطف مع أنها جاءت بالعطف بالواو وكتاب الله هو المرجع الأساس.[2]

ثم خرج البيت على أن الفصل فيه لشبه كمال الاتصال وهو أن الجملة الثالثة وهي قول الشاعر:أراها في الضلال تهيم وقعت جوابا لسؤال مقدر فكأنه لما قال: تظن سلمى أنني أبغي بها بدلا، قيل له:وماذا تقول في ظن سلمي أنك تبغي بها بدلا؟ فقال:أراها في الضلال تهيم،وذكر أن الأقدمين من الكاتبين ذكروا ذلك احتمالا للفصل في البيت لكنه يراه هو الرأي[3].

خامس موجبات الفصل:التوسط بين الكمالين:

ومعناه أنه يجب الفصل إذا كان الوصل يخل بالمعنى، وهو أن لا نقصد التشريك بين الجملتين؛ لأن التشريك يغير المعنى، ومن ذلك قوله تعالى﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ.اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

(١) سورة النساء الآية (٦)

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) للدكتور فضل عباس حسن بتصرف(٤٣٦، ٤٣٨).

(٣) المرجع السابق(٤٣٨).

بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١] فإنه لو عطف هذه الجملة﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على سابقتها وهو قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ لكان هذا من قول المنافقين ويصير المعنى:إن المنافقين إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون وقالوا إن الله يستهزئ بالمؤمنين، مع أن هذه الجملة الأخيرة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إنما هي تعقيب على قولهم فهي من قول الله تعالى، ولذلك فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأن الوصل يخل بالمعنى وهو ما يطلق عليه البلاغيون التوسط بين الكمالين.

واعتبر الزمخشرى وبعض المفسرين أن الفصل هنا للاستئناف وهو أنها جاءت جوابا لسؤال مقدر.

قال الزمخشرى: فإن قلت: كيف ابتدئ قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ولم يعطف على الكلام قبله ؟ قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله.[٢]

وقال الطاهر ابن عاشور:﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لم تعطف هاته الجملة على ما قبلها لأنها جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً لسؤال مقدر، وذلك أن السامع لحكاية قولهم للمؤمنين﴿آمَنَّا ﴾، وقولهم لشياطينهم﴿إِنَّا مَعَكُمْ..﴾ يقول لقد راجت حيلتهم على المسلمين الغافلين عن كيدهم وهل يتفطن متفطن في المسلمين لأحوالهم فيجازيهم على استهزائهم، أو هل يرد لهم ما راموا من المسلمين، ومَن الذي يتولى مقابلة صنعهم فكان للاستئناف بقوله﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ غاية الفخامة والجزالة، وهو أيضاً واقع موقع الاعتراض والأكثر في الاعتراض ترك العاطف.[٣]

(١) سورة البقرة الآيتان(١٤، ١٥).
(٢) الكشاف(١/١٨٧، ١٨٨)
(٣) التحرير والتنوير(١/٢٩٣).

لكن الإمام عبد القاهر يعتبر الفصل هنا للتوسط بين الكمالين، وليس لشبه كمال الاتصال كما ذهب إليه المفسرون حيث يقول: " ومما هو أصل في هذا الباب أنك ترى الجملة، وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف، ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها، صارت به أجنبية مما قبلها، مثال ذلك قوله تعالى﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الظاهر كما لايخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ وذلك أنه ليس بأجنبي منه، بل هو نظير ما جاء معطوفاً من قوله تعالى﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾[١]، وقوله﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾[٢]، وما أشبه ذلك مما يُرد فيه العجز على الصدر، ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف، وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف، وهو أن قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى، وقوله تعالى﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعاً لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفاً على ما هو حكاية عنهم، ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبراً من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون، وأن الله تعالى يعاقبهم عليه.

وليس كذلك الحال في قوله تعالى﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾،﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾لأن الأول من الكلامين فيهما كالثاني في أنه خبر من الله تعالى، وليس بحكاية، وهذا هو العلة في قوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[٣] إنما جاء﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ مستأنفاً مفتتحاً بألا لأنه خبر من الله تعالى بأنهم كذلك، والذي قبله من قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ حكاية عنهم، فلو عطف للزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في

(١) سورة النساء من الآية (١٤٢).
(٢) سورة آل عمران من الآية (٥٤).
(٣) سورة البقرة الآيتان (١١، ١٢).

الحكاية ولصار خبراً من اليهود، ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مفسدون، ولصار كأنه قيل: قالوا إنما نحن مصلحون، وقالوا إنهم هم المفسدون، وذلك ما لا يشك في فساده. وكذلك قوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، ولو عطف﴿إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ على ما قبله لكان يكون قد أدخل في الحكاية، ولصار حديثاً منهم عن أنفسهم بأنهم هم السفهاء من بعد أن زعموا أنهم إنما تركوا أن يؤمنوا لئلا يكونوا من السفهاء على أن في هذا أمراً آخر، وهو أن قوله﴿أَنُؤْمِنُ﴾ استفهام، ولا يعطف الخبر على الاستفهام.

فإن قلت: هل كان يجوز أن يعطف قوله تعالى﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على ﴿قَالُوا﴾ من قوله ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، لا على ما بعده؟ وكذلك كان يفعل في ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾،﴿إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾. وكان يكون نظير قوله تعالى﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ..﴾[2] وذلك أن قوله ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ معطوف من غير شك على﴿قَالُوا﴾ دون ما بعده؟ قيل إن حكم المعطوف على﴿قَالُوا﴾ فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك أن﴿قَالُوا﴾ هاهنا جواب شرط. فلو عطف قوله﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عليه للزم إدخاله في حكمه من كونه جواباً، وذلك لا يصح. وذاك أنه متى عطف على جواب الشرط شيء بالواو كان ذلك على ضربين:

أحدهما: أن يكونا شيئين يتصور وجود كل واحد منهما دون الآخر، ومثاله قولك:إن تأتني أكرمك أعطك وأكسك.

والثاني: أن يكون المعطوف شيئاً لا يكون حتى يكون المعطوف عليه. ويكون الشرط لذلك سبباً فيه بوساطة كونه سبباً للأول، ومثاله قولك: إذا رجع الأمير إلى الدار استأذنته وخرجت فالخروج لا يكون حتى يكون الاستئذان، وقد صار الرجوع سبباً في الخروج من أجل كونه سبباً في الاستئذان. فيكون المعنى في مثل هذا على كلامين

(١) سورة البقرة الآية (١٣).
(٢) سورة الأنعام من الآية (٨)

نحو: إذا رجع الأمير استأذنت وإذا استأذنت خرجت.

وإذ قد عرفت ذلك فإنه لو عطف قوله تعالى﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾على﴿قَالُوا﴾ كما زعمت كان الذي يتصور فيه أن يكون من هذا الضرب الثاني، وأن يكون المعنى: وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم، ومدهم في طغيانهم يعمهون. وهذا وإن كان يرى أنه يستقيم فليس هو بمستقيم، وذلك أن الجزاء إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له، وإرادتهم إياه في قولهم إنا آمنا، لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزئون والعطف على﴿قَالُوا﴾ يقتضي أن يكون الجزاء على حديثهم عن أنفسهم بالاستهزاء لا عليه نفسه. ويبين ما ذكرناه من أن الجزاء ينبغي أن يكون على قصدهم الاستهزاء، وفعلهم له لا على حديثهم عن أنفسهم بأنا مستهزئون أنهم لو كانوا قالوا لكبرائهم:﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ وهم يريدون بذلك دفعهم عن أنفسهم بهذا الكلام، وأن يسلموا من شرهم، وأن يوهموهم أنهم منهم، وإن لم يكونوا كذلك لكان لا يكون عليهم مؤاخذة فيما قالوه من حيث كانت المؤاخذة تكون على اعتقاد الاستهزاء والخديعة في إظهار الإيمان لا في القول: إنا استهزأنا، من غير أن يقترن بذلك القول اعتقاد ونية.[1]

ولقد أجاد الجرجاني في بيان هذا الوجه من وجوه الفصل وأن الفصل هنا إنما هو التوسط بين الكمالين، وليس للاستئناف كما هو مذهب الزمخشري.

تلك هي مواطن الفصل بين الجملتين حين تأتي الثانية منهما عقب الأولى فإنه يجب الفصل بينهما إذا وجد سبب من هذه الأسباب المتقدمة، وقد جاء القرآن الكريم سائرا على هذه القواعد بل هو الأصل فيها فلقد وضعت فيه الحروف في أماكنها الدقيقة وحسب ما اقتضته بلاغته فترك العطف حيث يستدعي المقام ذلك كما هو واضح من الأمثلة التي ذكرناها.

(١) دلائل الإعجاز(١٨١، ١٨٢).

المبحث الثاني

مواطن الوصل

بعد أن بينا مواطن الفصل بين الجملتين بترك العطف بينهما نورد هنا مواطن الوصل فنقول يجب الوصل بين الجمل في حالتين:

الأولى: كمال الانقطاع مع الإيهام:

ويكون عندما تختلف الجملتان خبرا وإنشاء مع إيهام خلاف المقصود عند الفصل فيلزم الوصل والعطف بالواو كما سبق في قول أبي بكر ﷺ لرجل:أتبيع هذا الثوب؟ قال لا عافاك الله، قال لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قلْ لا وعافاك الله، فقوله:لا عافاك الله يوهم الدعاء عليه، ولما وصله بالواو بين أن المراد الدعاء له، فهنا جملتان الأولى استفهامية وهي إنشائية، والثانية جملة الجواب:لا عافاك الله وهي خبرية فلو فصل بينهما لأوهم خلاف المقصود،لذا وجب الوصل بينهما.

وهذا الموطن ليس له شاهد في القرآن الكريم،لأن القرآن قائم على الاتصال بين موضوعاته وآياته فلا تنافي بين الآيات، وإنما كل آية آخذة بحجزة أختها.

والثانية:التوسط بين الكمالين وهو كمال الاتصال وكمال الانقطاع:

هذه الصورة تظهر حينما تكون العلاقة بين الجملتين متوسطة تماماً بين حالتي "كمال الانقطاع" و"كمال الاتصال".

ويُلاحظ هذا التوسط حينما تتفق الجملتان التالية والسابقة خبراً أو إنشاءً، لفظاً ومعنىً، أو معنىً فقط، مع جامع يجمع بينهما، فتُعْطَفُ التالية على السَّابقة إلاَّ إذا أوهم العطفُ خلاف المقصود.

ومن الأمثلة على ذلك من القرآن قوله تعالى﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[1]

يُلاَحظ في هاتين الجملتين المعطوفة بالواو والمعطوف عليها توسُّطاً بين كمال

(١) سورة الانفطار الآيتان(١٣، ١٤).

الاتّصال وكمال الانقطاع، وجامعاً يجمع بينهما، فالعلاقة بينهما قانون الجزاء الرباني، ذي الصورتين المتضادتين، لفريقين متضادّين، هما الأبرار والفجّار، إنّ عنوان الجزاء عنوانٌ جامع دون اتّحاد ولا شبْهِ اتّحاد، وإنّ التضادّ لا يَصِلُ إلى مستوى التابين التامّ في الفكر، لأنّ الضدَّ أقربُ خُطُوراً بالبال عند ذكرِ الضدّ من النظير إلى النظير، فحصلَ بذلك التوسُّط بين الكمالين، والجملتان هما أيضاً خبريتان لفظاً ومعنىً، فحَسُنَ عطفُ التالية على السابقة بالواو، فاتفاق الجملتين في الخبرية هو الذي سوغ عطف الثانية على الأولى.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[1] فهنا عطف الجملة الثانية والثالثة على الجملة الأولى لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى مع الجملة الأولى مع وجود الجامع بينهما إذ أنّ إخراج الميت من الحيّ مغايرٌ لإخراج الحيِّ من الميت وملائم له، إلا أنهما مظهران من مظاهر قدرة الرّبّ الخالق جلّ وعلا، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها، وكذلك البعث يوم الدّين.

وكذا لو اتفقا في الإنشائية بأن كان كلتا الجملتين إنشائية مع وجود رابط بينهما من تضاد أو أي جامع يحسن العطف كقوله تعالى﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2]

إنّ جُمَلَ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ معطوفة على﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لما بينهما من التغاير الذي يجعلها متوسطة بين الكمالين، مع التلاؤم الفكري بينها، والجمل كلُّها متفقة في كونها جملاً إنشائيةً واردة إمّا بصيغة الأمر وإمّا بصيغة النهي، ومعناها جميعاً على الإنشاء.

ومثله أيضا إذا اتفقتا معنى لا لفظا كقوله تعالى﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا

(١) سورة الروم الآية (١٩).
(٢) سورة الأعراف الآية (٣١).

تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ..﴾[1] بعطف﴿قُولُوا﴾على﴿لاَ تَعْبُدُونَ﴾ لأنه بمعنى لا تعبدوا، وأما قوله تعالى﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فتقديره إما وتحسنون بمعنى أحسنوا وهذا أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه قد سورع فيه إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه.

والحاصل أنه متى كانت الجملة الثانية مطابقة للأولى لم يعطف، وكذلك إذا كانت مغايرة لها إلا أن يكون نوع ارتباط بوجه جامع.

الجامع المسوّغ للعطف بالواو بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب

العلاقة الجامعة بين الجملتين فكرةٌ تسوّغ الربط بالواو، وهذه الفكرة تُنْتَزَعُ من أركان الإسناد بين الجملتين وتوابع هذه الأركان، وأرى أنّه ليس باستطاعة الباحث أن يملك ضوابط محدَّدَةً للصُّور التي يُلاَحَظُ فيها الجامع المسوّغ للعطف، يميّزها عن الصور الأخرى التي يكون الجامع فيها ضعيفاً لا يحسُنُ معه العطف بالواو لدى أذكياء البلغاء.

وقد حاول السَّكّاكي مستفيداً من دراساته المنطقيّة والفلسفيَّة الواسعة، أن يقدّم تصنيفاً للكليّات الّتي يمكن أن يندرج تَحتَها الجامع، فرأى أنّ الجامع، إمَّا أن يكون عقليّاً، أو وهميّاً، أو خياليّاً.

فالجامع العقلي: له عدة صُوَر:

ــ أن يتّحد في الجملتين واحدٌ فأكثر من المسند، والمسند إليه، وقيودهما.

ــ أن يتماثل في الجملتين واحدٌ فأكثر من المسند إليه، والمسند، وقيودهما، والتماثل هو التشابه، وهو غير الاتحاد.

ــ أن تربط بين الجملتين العلاقة التي تُسَمَّى في الفلسفة مقولة "الإضافة" وهي التي يرتبط فيها فهم الشيء بفهم شيء آخر، مثل العلاقة بين الأُبُوّة والبنوة، والعلاقة بين

(١) سورة البقرة من الآية (٨٣).

العلة والمعلول، والسبب والمسبّب، والأسفل والأعلى، والأقل والأكثر، والبيع والشراء، والشريك مع شريكه، إلى غير ذلك.

والجامع الوهمي: هو أن تتواصل الجملتان ببعض عناصرهما عن طريق القوة الواهمة في الذهن.

ــ فمنه أن يكون بينهما شبه تماثل، إذ الوهم من شأنه أنْ يرفع شبيه المتماثلين إلى مرتبة المتماثلين ويجمع بينهما لتقاربهما.

كأن يجمع بين الأبيض والأصفر لأنهما يشبهان المتماثلين، وكأن يجمع بين شديد الخضرة والسّواد.

ــ ومنه أن يكون بينهما تضادّ، كالسّواد والبياض، والإيمان والكفر، والضحك والبكاء، والقيام والقعود، إذ من شأن القوة الواهمة أن تجمع بين الأضداد.

ــ ومنه أن يكون بينهما شبه تضاد، كالسّماء والأرض، والسهل والجبل.

الجامع الخيالي: هو أن تتواصل الجملتان ببعض عناصرهما عن طريق "المخيّلة" في الذهن، إذ الذهن يؤلف بين المتقارنين في الخيال لأسباب مختلفة، كالقلم والقرطاس، والعقد والجيد، والمعصم والسوار، والخاتم والإصبع، والغراب والسواد، إلى غير ذلك.

المبحث الثالث

بعض الشبه التي أثيرت على القرآن بسبب الفصل والوصل

لما كان لموضع العطف وعدمه هذه الأهمية في الدلالة على الدقة البالغة في اختيار الألفاظ في مواضعها والحروف في أماكنها أثار بعض المشككين بعض الشبهات حول القرآن بسبب الفصل في بعض المواضع والوصل في بعض المواضع الأخرى كما سبق بيان مواضع كل منهما، واستندوا في ذلك إلى بعض الروايات ونسبوها إلى ابن عباس بقصد التشكيك في القرآن فرأي الباحثُ أن يقف أمام هذه الروايات ويبين وجه الحق فيها، وأن ما جاء في القرآن معطوفا على غيره هو المناسب للمقام، وما جاء بدون عطف كذلك هو المناسب للمقام.

ــ ومن هذه الروايات ما روي عن عكرمة أنه كان يقرأ﴿وَضِيَاءً﴾ ضياء بغير واو

في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[١] ويقول في رواية: خذوا هذه الواو واجعلوها في قوله تعالى﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾،[٢] وفي رواية أخري انزعوا هذه الواو فاجعلوها في قوله ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا..﴾[٣] فتصير والذين.

قال الإمام الرازي: أما الواو في قوله﴿وَضِيَاءً﴾ فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ضياء بغير واو وهو حال من الفرقان.[٤]

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ وحكي عن ابن عباس وعكرمة الفرقان ضياء بغير واو على الحال، وزعم الفراء أن حذف الواو والمجيء بها واحد كما قال الله عز و جل: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا﴾[٥]أي:حفظا ورد عليه هذا القول الزجاج قال: لأن الواو تجيء لمعنى فلا تزاد[٦].

وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره من طريق عمرو ابن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ ــ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ــ ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها ها هنا﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ..﴾الآية.

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن حريث عن عكرمة عن ابن عباس قال:انزعوا هذه الواو فاجعلوها في﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ...﴾[٧]

ويجاب عن هذه الشبهة بالآتي:

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٤٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٧٣).

(٣) سورة غافر الآية (٧)

(٤) التفسير الكبير(١٧٩/١١) ط دار الفكر بيروت لبنان،١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٢م.

(٥) سورة الصافات من الآيتين(٦، ٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٦٥/٦) ط دار الفكر، بيروت لبنان،١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م.

(٧) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(١٨٥/١).

١ــ أخذ ابن عباس القرآن عن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت كان في لجنة جمع القرآن في عهد أبي بكر وكان كاتب الوحي للرسولﷺ، وكان يكتب ما يكتب بأمر النبيﷺ، وإقراره وابن عباس كان يعرف ذلك ويوقن به فمحال إذن أن ينطق لسانه بكلمة تحمل رائحة اعتراض على جمع القرآن ورسم المصحف، وإلا فكيف يأخذ عن زيد وأبي بن كعب ثم يعترض على جمع القرآن ورسمه.

٢ــ أجيب أيضا بأن هذه الرواية ضعيفة لا يصح نسبة شيء منها إلى ابن عباس إذ أنها عورضت بروايات أخري عن ابن عباس وغيره تثبت هذا الحرف في القراءة ، وهذه الروايات المعارضة للروايات الأخرى المتواترة المجمع عليها والمقطوع بها بحكم هذا تكون ساقطة، ولذا لا يعول عليها ولا يلتفت إليها ولا يؤخذ بها، ثم إن هذه الواو ثابتة وموجودة في كل القراءات المنقولة بالتواتر.

٣ــ من المعلوم أن أكثر ما دسّ من ساقط الروايات كان ينسب إلى ابن عباس، ولذا لا يبعد كثيراً أن تكون هذه الروايات قد دست لغرض خبيث وابن عباس بريء منها تماما.

يضاف إلى هذه الردود ما ذكره الدكتور لبيب السعيد يقول:

وعندي أن أقوى ما يدحض هذه الرواية وأمثالها هو ما أشرت إليه قبلا من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب ــ إن لم تكن بدونها نهائيا ــ ولم تكن الكتابة في المقام الأول وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقي الشفوي المتواتر.

كما يجاب عن هذه الشبهة أيضا أن هذا المزعوم ساقط للاختلاف في أي الآيتين أراد ابن عباس نقل الواو إليها، فضلا عن أن ذكر الواو في الآية هو الذي تقضي به البلاغة الفائقة لا حذفها، وسواء فسر الفرقان بالتوراة أو بالنصر.

قال القرطبي: وتفسير(الفرقان) بالتوراة لأن فيها الفرق بين الحرام والحلال قال: ﴿وَضِيَاءً﴾ مثل﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[١]، وقال ابن زيد:(الفرقان) هنا هو النصر على

---

(١) سورة المائدة من الآية (٤٦).

الأعداء دليله قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[١] يعني يوم بدر، قال الثعلبي: وهذا القول أشبه بظاهر الآية لدخول الواو في الضياء فيكون معنى الآية: ولقد آتينا موسى وهارون النصر والتوراة التي هي الضياء والذكر للمتقين.[٢]

وقد روي تفسيره بالنصر عن ابن عباس وغيره، ويشهد له قوله تعالى﴿..إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]

فالمراد به يوم بدر وبيان ذلك:

أما على الأول: فيكون المراد بالفرقان والضياء والذكر التوراة، وهي فرقان لأنها تفرق بين الحق والباطل، وهي ضياء لأنها تنير الطريق للسالكين، وهي ذكر لما فيها من التذكير والمواعظ.

ومثل هذا الأسلوب يجوز أن يأتي بدون الواو على أنه حال، ويجوز أن يأتي بالواو وكلٌ بليغ ، ولكن الإتيان بها أبلغ تنزيلا لتغاير الصفة ــ والحال صفة في المعنى ــ منزلة التغاير في الذوات، ولذلك سر بلاغي وهو الإشارة إلى بلوغها درجة عالية في كونها ضياء حتى أضحت كأنها جنس مستقل برأسه عن سابقه ومثل هذا السر لا يتم على حذف الواو.

وأما على الثاني: وهو تفسير الفرقان بالنصر فتكون الواو لازمة ألبتة لتغاير المعطوف والمعطوف عليه، ويكون المراد بالضياء التوراة أو الشريعة[٤].

ــ يجاب أيضا بأن الآيات التي ذكرت في الرواية وأنها تحتاج إلى العطف وهو الوصل ليس الأمر كما زعموا فإن الفصل فيها هو المناسب للمقام ففي الآية الأولى

(١) سورة الأنفال من الآية (٤١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٦٥/٦).
(٣) سورة الأنفال من الآية(٤١)
(٤) رسم المصحف ونقطه للدكتور/عبد الحي الفرماوي (٤٧٥، ٤٧٦) ط مؤسسة دار الريان ط أولى ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م.

وهي قوله تعالى﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الفصل هو المناسب فيها.

قال الطاهر ابن عاشور: يجوز أن يكون﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ إلى آخره بدلاً من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[١] أو صفة له،أو صفة ثانية للمؤمنين في قوله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] على طريقة ترك العطف في الأخبار، وإنَّما جيء بإعادة الموصول، دون أن تعطف الصلة على الصلة،اهتماماً بشأن هذه الصلة الثانية حتّى لا تكون كجزء صلة، ويجوز أن يكون ابتداء كلام مستأنف، فيكون مبتدأ وخبره قوله﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾[٣] أي ذلك القول.[٤]

وقال الطاهر ابن عاشور في الآية الثانية وهي قوله تعالى﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا..﴾:استئناف ابتدائي اقتضاه الانتقال من ذكر الوعيد المؤذن بذم الذين كفروا إلى ذكر الثناء على المؤمنين، فإن الكلام الجاري على ألسنة الملائكة مثل الكلام الجاري على ألسنة الرسل إذ الجميع من وحي الله، والمناسبة المضادَّةُ بين الحالين والمقالين، ويجوز أن يكون استئنافاً بيانياً ناشئاً عن وعيد المجادلين في آيات الله أن يسأل سائل عن حال الذين لا يجادلون في آيات الله فآمنوا بها.[٥]

* * *

(١) سورة آل عمران من الآية (١٧٢)
(٢) سورة آل عمران من الآية (١٧١).
(٣) سورة آل عمران من الآية (١٧٥).
(٤) التحرير والتنوير(١٦٨/٣).
(٥) المرجع السابق (٨٩/١١).

الخـاتمة

بعد هذه الدراسة لموضوع الفصل والوصل أستطيع أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها وهي:

١ــ أن الجرجاني هو أول من وضع أساس هذا البناء ثم جاء مَن بعده من البلاغيين وشيدوا صرح هذا البناء ووضعوا معالمه كالزمخشرى، والسكاكي، والقز ويني، والسبكي.

٢ــ أن الفصل والوصل بين المفردات هو مقدمة للفصل والوصل بين الجمل.

٣ــ أن القرآن الكريم قد سبق ببلاغته وفصاحته بلاغة وفصاحة العرب وأنه هو الأصل فيها والمرجع الذي يرجع إليه عند الاختلاف في أي أمر.

٤ــ اعتمد القرآن الكريم العطف في مقامه وترك العطف حيث لا يتناسب مع السياق فهو كتاب حكيم من لدن حكيم.

٥ــ أن العطف في مقام العطف هو البلاغة كما أن ترك العطف فيما ترك فيه هو البلاغة أيضا.

٦ــ الإعجاز البياني وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في وضع كل حرف من الحروف في مكانه المناسب، وعدم ذكره إذا كان المقام يستدعي ذلك.

٧ــ ردّ أي محاولة للنيل من القرآن الكريم بقصد وسمه بالنقص أو بالزيادة في حروفه أو كلماته،والتأكيد على أن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي أوحي الله به إلى نبيه محمدﷺ من غير زيادة أو نقصان، ومن اعتقد فيه الزيادة عليه أو النقصان منه فهو كافر بالإجماع.

* * *

فهرس المراجـع

القرآن الكريم

ــ أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية د/عبد القادر عبدالرحمن السعدي ط دار عمار ط أولى١٤٢١هـ ــ٢٠٠٠م.

ــ أساس البلاغة للزمخشري ط إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط أولى١٤٢٢هـ ــ٢٠٠١م.

ــ أسرار التكرار لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني ط مطبعة دار الفضيلة، بدون تاريخ.

ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط دار الفكر بيروت لبنان،١٤١٦هـ ــ١٩٩٦م.

ــ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط مؤسسة الكتب الثقافية ط ثانية تحقيق سعيد المندوه، بدون تاريخ.

ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ط دار الفكر ط أولى١٤٢١هـ ــ٢٠٠١م.

ــ إعجاز القرآن د/ حكمت الحريري ط مركز عبادي للنشر صنعاء ط أولى١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٤م.

ــ إعجاز القرآني البياني ودلائل مصادره الرباني د/ صلاح الخالدي ط دار عمار ط ثانية ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م.

ــ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ نشر دار المعارف القاهرة ١٣٩١هـ ــ١٩٧١م.

ــ البحر المحيط لأبي حيان ط دار الفكر ١٤١٢هـ ــ١٩٩٢م.

ــ البرهان في علوم القرآن للزركشي ط دار الفكر بيروت، لبنان١٤٢١هـ ــ٢٠٠١م.

ــ البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) د/ فضل حسن عباس نشر دار الفرقان عمان ط تاسعة ١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٤م.

ــ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمن الميداني.

ــ البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الدين الخالدي ط دار عمار ط أولى ١٤١٠هـ ــ١٩٨٩م.

ـ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار سحنون تونس بدون تاريخ.
ـ التفسير البياني للدكتورة بنت الشاطئ ط دار المعارف ط خامسة ١٣٩٧هـ ـ١٩٩٧م.
ـ التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار الفكر ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.
ـ التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ط دار الكتب الحديث ١٣٨١هـ ـ١٩٦١م.
ـ التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ط دار الفكر العربي ط أولى ١٤٠٩هـ.
ـ التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/أحمد سعد محمد ط مكتبة الآداب القاهرة ط أولى ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.
ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط دار الفكر ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
ـ الجني الداني في حروف المعاني للمرادى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٣هـ ـ١٩٩٢م تحقيق د/ فخر الدين قباوه ، والأستاذ محمد نديم فاضل.
ـ دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالعربية جماعة من العلماء.
ـ دراسات لأسلوب القرآن لمحمد عبد الخالق عضيمة ط دار الحديث القاهرة بدون تاريخ.
ـ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ط دار الكتاب العربي ط ثالثة ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.
ـ رسم المصحف ونقطه للدكتور عبد الحي الفرماوي ط مؤسسة دار الريان ط أولى ١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٤م.
ـ روح المعاني في تفسير القرآن للعلامة الألوسي ط دار الفكر بدون تاريخ.
ـ ربيع الأبرار للزمخشري.
ـ سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي للإمام أبي القاسم على بن عثمان القاصح العذري البغدادي ط دار الفكر ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.
ـ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ط مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م تحقيق شعيب الأرناؤط.
ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط مكتبة دار التراث ١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م.
ـ شرح المفصل لابن يعيش ط إدارة الطباعة المنيرية، بدون تاريخ.
ـ الصناعتين لأبي هلال العسكري.
ـ علوم البلاغة للشيخ أحمد مصطفي المراغي مطبعة محمد محمد مطر بالعتبة ١٣٣٥هـ ـ١٩١٧م.

ـ الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب د/ منير سلطان نشر منشأة المعارف الإسكندرية ط ثانية ١٩٩٧م.
ـ في البلاغة القرآنية أسرار الفصل والوصل د/صبّاح عبيد دراز ط مطبعة الأمانة ط أولى ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (الملا مصطفي بن عبد الله الرومي الحنفي) ط المتنبي ـ بيروت ، بدون تاريخ.
ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي ط مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط ١٣٩٤هـ ـ١٩٧٤م ، تحقيق د/ محي الدين رمضان.
ـ الكشاف للزمخشري ط دار الفكر بدون تاريخ.
ـ لسان العرب لابن منظور ط دار إحياء التراث العربي ط ثالثة بدون تاريخ.
ـ المحرر الوجيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثانية ١٤٢٨هـ ـ٢٠٠٧م.
ـ معاهد التنصيص عبد الرحيم بن أحمد العباسي مطبعة السعادة القاهرة ١٣٦٧هـ ـ١٩٦١م تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م.
ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ط مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦هـ ـ١٩٥٧م.
ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام ط دار الأرقم بن أبي الأرقم ط أولى ١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م تحقيق بركات يوسف هبود.
ـ مفتاح العلوم للسكاكي ط مطبعة دار الرسالة بغداد ط أولى ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.
ـ المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري.
ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين لإسماعيل باشا البغدادي ط المتنبي، بيروت ط ١٩٥١هـ.
ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ط دار صادر بيروت لبنان بدون تاريخ تحقيق د/إحسان عباس.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدمة ٤١١
التمهيد: تعريف الفصل والوصل وأهميته في فهم القرآن الكريم ٤١٥
المبحث الأول: مواضع الفصل ٤٢٥
المطلب الأول:المعاني التي تستعمل فيها الواو ٤٢٥
المطلب الثاني:عدم القول بالزيادة في حروف القرآن ٤٣٥
المطلب الثالث:عدم القول بالتناوب بين حروف العطف في القرآن..... ٤٤٠
المطلب الرابع: قضية الحذف في القرآن الكريم ٤٤٥
المطلب الخامس: الفصل بين المفردات ٤٥٠
المطلب السادس: مواضع الفصل بين الجمل ٤٥٥
المبحث الثاني: مواضع الوصل..... ٤٨٢
المبحث الثالث: بعض الشبهات التي أثيرت حول القرآن ٤٩١
الخاتمة..... ٤٩٦
المراجع..... ٤٩٧
الفهارس ٥٠٠

***